أبو شامة
شهاب الدين أبو محمد الشافعي

ضوء السارى

إلى

معرفة رؤية البارى عز وجل

تحقيق
الدكتور أحمد عبد الرحمن الشريف

دار الصحوة
للنشر والتوزيع بالقاهرة

8

أبو شـــامة
شهاب الدين أبو محمد الشافعى

ضوء السارى إلى معرفة
رؤية البـــارى عز وجل

تحقيق د / أحمد عبد الرحمن الشريف

الطبعـــة الأولـــى

ضَوْءُ السَّارِي

إلى

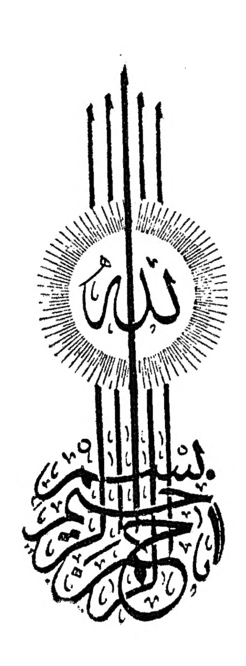
معرفة رؤية الباري عز وجل

صنفه الشيخ الامام العلامة الحافظ الضابط المتقن
شهاب الدين ابو محمد عبد الرحمن بن اسماعيل
ابن ابراهيم الشافعي عرف بابي شامة رحمه الله تعالى

تحقيق

الدكتور أحمد عبد الرحمن الشريف

دار الصحوة
للنشر والتوزيع بالقاهرة


الله
بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــدمة التحقيق

الحمد لله واهب العطايا وصاحب النعم ، أسبغ علينا نعمه ظاهره وباطنة فلا تحصرها البصائر والأبصار ، ولا تحيط بها العقول ولا الأفهام .

ومن هذه النعم مظاهر الجمال التى أودعها الله فى الكون وفى الإنسان يستمتع الإنسان بها وهو يرى جمال الإبداع الإلهى فى ليلة مقمرة ، أو ظل مديد ، أو روض بهيج ، أو جبال شامخات طرقها مختلفة الألوان بيض وحمر وغرابيب سود ، أو ماء ينساب بين الصخور ، أو بحار متلاطمة الأمواج تمخر عبابها الجوارى المنشآت كالأعـــلام .

يرى جمال الإبداع الالهى فى تعاقب الليل والنهار وفى خلق الإنسان فى أحسن تقويم الى غير ذلك من مظاهر الجمال فى هذا الوجود .

يرى الإنسان كل هذا فتغمر نفسه النشوة ، وتفيض بالسعادة ، وتتوارى عنها آلام الحياة وأحزانها .

وإذا كان الإنسان تفيض نفسه بالسعادة وهو ينظر إلى جمال صنع الله فإن هذه السعادة تتضائل أمام

سعادة أعظم ألا وهى سعادته وهو ينظر إلى جمال ذات الله فى الدار الآخرة •

انها سعادة لا تدنو منها سعادة حتى لتتضاءل الى جوارها سعادة الإنسان بالجنة بكل ما فيها من أنواع النعيم •

فلقد ثبت فى الحديث الذى يرويه الإمام مسلم فى صحيحه أن رسول الله ﷺ قال : « إذا دخل أهـل الجنة الجنة يقول الله تبارك وتعالى تريدون شيئا أزيدكم فيقولون : ألم تبيض وجوهنا ؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار ؟ قال فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر الى ربهم » •

وفى رواية لأبى داود « فيتجلى لهم فينظرون اليه فيكون ذلك أعظم عندهم » ولهذا يذكر الله عز وجل رؤية عباده له فى معرض الإمتنان عليهم •

فيقول تعالى **« للذين احسنوا الحسنى وزيادة »** •

فيبين عز وجل أنه أعد للذين أحسنوا العمل فى الدنيا : الحسنى وهى الجنة والزيادة : وهى النظر الى وجهه الكريم •

ولما كانت رؤية الله فى الآخرة أعلى درجات السعادة

تلك السعادة التى لا يحيط بها وصف ، ولا يتصور حقيقتها إدراك .

لذلك كان من الأمور الطيبة أن يفرد لها العالم الحافظ المحدث « عبد الرحمن بن اسماعيل ابن ابراهيم بن عثمان » المقدسى ، المعروف بأبى شامة كتابا أسماه : « ضوء السارى الى معرفة رؤية البارى » .

جمع فيه ما عرضه أهل السنة من المفسرين ، والمحدثين ، والمتكلمين من آراء حول تقرير الرؤية ، وما اهتدى اليه كل منهم من بحثه وفهمه .

فعاش مع كتب التفسير باحثا ومنقبا ، وتتبع نصوص الأحاديث الصحيحة وغاص فى كتب اللغة وكتب علم الكلام ، وجمع من هذا كله محاسن كلام كل طائفة منهم واختصره فى هذا الكتاب ليحصل به لأهل السنة التعريف ، وللمبتدعين التعنيف .

وقد قسم الكتاب الى مقدمة وتسعة فصول .

ففى الفصل الأول : استدل على اثبات رؤية الله فى الآخرة بالقرآن الكريم وساق على ذلك أربعة أدلة مستعرضا أقوال علماء التفسير فيها ، ومعززا أقوالهم واتجاهاتهم بآراء علماء اللغة ومبرهنا على ضعف آراء من حاد عن طريقهم ، وخالف مسلكهم ، وبرهن على أن

المراد بالنظر : الرؤية بالعين بثلاثة أوجه مستشهدا على ما ذهب اليه بأقوال المفسرين من الصحابة والتابعين ، وبما ثبت عن رسول الله من الأحاديث ، وباستعمالات العرب للفظ النظر •

وفى **الفصل الثانى** : عرض الأخبار النبوية الصحيحة التى تثبت وقوع رؤية المؤمنين لله فى الدار الآخرة •

وفى **الفصل الثالث** : ذكر الاعتراضات التى ساقها من أنكر الرؤية وتتبع هذه الاعتراضات وأجاب عنها •

وفى **الفصل الرابع** : تناول الأدلة السمعية والعقلية التى احتج بها النافون لرؤية الله ، ثم أجاب عنها •

وفى **الفصل الخامس** : بين أن النافين لرؤية الله فى الآخرة استدلوا بقوله تعالى لموسى عليه السلام « **لن ترانى** » وتتبع أقوالهم فى هذا ، وساق من الأدلة ما يبطل مذهبهم ، ويدحض شبههم •

وفى **الفصل السادس** : تعرض لما ذهب اليه بعض المفسرين مثل : « أبى عبد الرحمن السلمى » و « **الزمخشرى** » حول تفسير قوله تعالى « **لن ترانى ولكن انظر الى الجبل** » وبين رأى أهل السنة فى ذلك وموقفهم مما ذهب اليه « الزمخشرى » فى تفسيره •

وفى الفصل السابع : استعرض جملة من شبه المعتزلة ، وتعقبها وأجاب عنهـا إجابة تظهر عـوارها ، وتكشف عن مكنون أخطائها .

وفى الفصل الثامن : تحدث عن رؤية الله تعـالى فى الدنيا بالأبصار ، وبعد أن عرض الآراء فى ذلك انتهى الى القول بأنه لا يصدق مدعى رؤية الله تعالى فى الدنيا يقظة مستدلا على ذلك بأن الرؤية منع منها كليم الله موسى عليه السلام ، إختلف فى حصولها لنبينـا محمـد ﷺ فكيف يسمح بها لمن لا يصل الى مقامها ؟ هـذا مع قوله تعالى « **لا تدركه الأبصـار** » فانه محمول على أنه نفى للرؤية فى الدنيا .

وفى الفصل التاسع : عرض ما ذكره الإمام الغزالى فى رؤية الله تعالى فى الآخرة وقد أسند المخطوطة إلى مؤلفها « عبد الرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم بن عثمان» الإمام السبكى (١) ومحمد شـاكر الكتبى (٢) إلا أن كلا منهما ذكرها باسم : « ضوء القمر السارى الى معرفة البارى » .

---

(١) انظر : طبقات الشافعية الكبرى جـ ٥ ص ٦١ ، ٦٢

(٢) انظر : فوات الوفيات والذيل عليها جـ ٢ ص ٢٧٠

وأسـندها اليـه حاجى خليفة (١) تحت اسـم :
« ضوء القمر السارى الى معرفة رؤية البارى » .

وأسندها اليه الداودى (٢) لكنه ذكرها باسـم
« ضوء السارى الى معرفة البارى عز وجل » .

وأسـندها اليـه الامام الذهبى (٣) ومحمد بن
الجزرى (٤) وذكرها كل منهما باسم : « ضوء السارى
الى معرفة رؤية البارى » .

وهذا العنوان الذى ذكره الإمام الذهبى ، ومحمد
ابن الجزرى لهذه المخطوطة هو الذى اخترته عنوانا
للكتـاب .

وذلك لأننى وجدته على غـلاف المخطوطة التى
اعتمدت عليها فى التحقيق والتى ذكر ناسخها أنه كتبها
من أصل عليه خط المؤلف نفسه .

وهذا يرجح أن هذه التسمية هى الصحيحة .

---

(١) انظر : كشف الظنون جـ ٢ ص ١٠٨٨

(٢) انظر : طبقات المفسرين جـ ١ ص ٢٦٣

(٣) انظر : معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار
جـ ٢ ص ٥٣٧ .

(٤) انظر : غاية النهاية فى طبقات القراء جـ ١ ص ٣٦٥

وهذه المخطوطة التى اعتمدت عليهـا فى التحقيق هى نسخة فريدة عثرت عليهـا بجامعـة الإمام محمد ابن سعود الاسلامية مصورة عن مكتبة جستربتى – دبلن – أيرلندا • وعدد أوراقها خمس وأربعون ورقة من الحجم الصغير وهى مكتوبة بخط النسخ ، ومسطرتها مختلفة إلا أن عددها فى غالب الصفحات تسعة عشر سطرا

ولقد بحثت فى فهارس مكتبة الأزهر ، ودار الكتب المصرية ، ومكتبة طلعت بمصر وفهارس مخطوطات اليمن ، وفهارس مخطوطات جامعة الملك سعود ،وفهارس المخطوطات المصورة بمعهد المخطوطات العربية علنى أعثر على نسخ أخرى لهذه المخطوطة غير أنى لم أستطع الى ذلك سبيلا، ومن ثم اعتمدت على تلك المخطوطة فى التحقيق •

والله أسأل أن ينفع بهذا العمل المسلمين وأن ينضر وجوهنا بالنظر الى وجهه الكريم •

د • أحمد عبد الرحمن الشريف

الرياض فى ١٦ صفر ١٤٠٥ هـ

٩ نوفمبر ١٨٩٤ م

التعريف بالمؤلف

اسمه ونسبه : عبد الرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم ابن عثمان من أبى بكر ابن عباس المقدسى الأصل ، الدمشقى المولد ، الشافعى العالم الحافظ ، المحدث ، الفقيه ، المقرىء ، النحوى ، الأصولى الحجة ذو الفنون المعروف « بأبى شامه » لوجود شامة كبيرة فوق حاجبه الأيسر . وكان يكنى « بأبى محمد » و « أبى القاسم ».

مولده ونشأته : ولد بدمشق ونشأ بها .

واختلف فى تاريخ مولده فذهب كثيرون منهم :

الحافظ ابن كثير [١] ، والامام الذهبى [٢] وجلال الدين السيوطى [٣] ومحمد بن الجزرى [٤] والداودى [٥] .

الى القول : بأن مولده كان سنة ٥٩٩ هـ .

---

(١) انظر : البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٥٠
(٢) انظر : معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار جـ ٢ ص ٥٣٧ وتذكرة الحفاظ جـ ٤ ص ١٤٦١ .
(٣) انظر : بغية الوعاة ص ٢٩٧
(٤) انظر : غاية النهاية فى طبقات القراء جـ ١ ص ٣٦٥
(٥) انظر : طبقات المفسرين جـ ١ ص ٢٦٣

بينما ذهب محمد شاكر الكتبى [١] الى القول بأن مولده كان سنة ٥٩٦ هـ .

وذهب السبكى [٢] الى القول بأنه ولد سنة ٥٧٩ هـ.

شيوخه : سمع صحيح البخارى من داود بن ملاعب، واحمد بن عبد الله العطار وسمع مسند الشافعى من الشيخ موفق الدين بن قدامه ، وأخذ عن شيخ الاسلام عز الدين بن عبد السلام ، والفخر ابن عساكر ، والسيف الآمدى وجمع القراءات كلهــا على الشيخ علم الدين السخاوى .

وارتحل فى طلب العلم فســافر الى الاسكندرية وسمع من الشيخ أبى القاسم عيسى بن عبد العزيز وغــيره .

تلاميــذه : أخذ عنه القراءات : الشيخ شهاب الدين حسين الكفرى ، والشيخ احمد اللبان وزين الدين أبو بكر ابن يوسف المزى وجماعة .

وقرأ عليه شرح الشاطبية الخطيب بن برهان الدين الاسكندرانى ، والشيخ شرف الدين الفزارى الخطيب.

---

(١) انظر : فوات الوفيات والذيل عليها جـ ٢ ص ٢٧٠

(٢) انظر : طبقات الشافعية الكبرى جـ ٥ ص ٦١ ، ٦٢

مكانته العلمية ومؤلفاته : كانت لأبى شامة مكانة علمية بارزة ولقد أهلته هذه المكانة لتولى مشيخة الاقراء بتربة الملك الأشرف موسى بن الملك العادل ، ومشيخة دار الحديث الأشرفية ، وكان مفرط الذكاء غزير العلم ، وكان مع فرط ذكائه وكثرة علمه متواضعا مطرحا للتكلف.

يقول ابن كثير : أخبرنى علم الدين البرزالى الحافظ عن الشيخ تاج الدين الفزارى أنه كان يقول : بلغ الشيخ شهاب الدين أبو شامه رتبة الاجتهاد ، ولم يكن فى وقته مثله فى نفسه وديانته ، وعفته وأمانته .

وكتب الكثير من العلوم ، واتقن الفقه ، ودرس وأفتى ، وبرع فى العربية ، وصنف شرحا نفيسا للشاطبية، واختصر « تاريخ دمشق » مرتين : الأول فى عشرين مجلدا والثانى فى عشرة ، وشرح القصائد النبوية للسخاوى فى مجلد ، وله كتاب « الروضتين فى اخبار الدولتين النورية والصلاحية » وكتاب « الذيل » عليها ، وكتاب « شرح الحديث المقتضى فى مبعث المصطفى » وكتاب «ضوء السارى الىمعرفة رؤية البارى عز وجل» و «المحقق فى علم الأصول فيما يتعلق بأفعال الرسول » وكتاب « البسملة » فى مجلد ثم اختصره ، وكتاب « الباعث على إنكار البدع والحوادث » وكتاب « السواك » وكتاب « كشف حال بنى عبيد » وكتاب « الأصول

فى الأصول » وكتاب « مفردات القراء » وكتاب « الوجيز فى أشياء من الكتاب العزيز » وكتاب « مقدمة نحو » وكتاب « نظم المفصل » للزمخشرى وقد كان ينظم الشعر ، ومن نظمه فى السبعة الذين يظلهم الله بظله يوم لا ظل الا ظله :

امام محب ناشىء متصدق
وباك مصل خائف سطوة الباس
يظلهم الله الجليل بظله
اذا كان يوم العرض لا ظل للناس
أشرت بألفاظ تدل عليهم
فيذكرهم بالنظم من بعضهم ناسى

وقال فى المعنى :

وقال النبى المصطفى إن سبعة
يظلهم الله العظيم بظله
محب عفيف ناشىء متصدق
وباك مصل والامام بعدله

وفاته : كانت وفاته بسبب محنة فقد اتهم برأى وهو منه برىء فقد قال جماعة من أهل الحديث وغيرهم : إنه كان مظلوما .

اما كيفية وفاته : فقد دخل عليه اثنان فى بيتـــه فى صورة المستفتين فضرباه ضربا مبرحا فاعتل به الى أن مات سنة ٦٦٥ هـ ودفن بباب الفراديس وقيل بباب كيسان بدمشق وكتب هو فى تاريخ المحنة التى أنفقت له فقال — رحمه الله تعالى — جرت لى محنة بدارى بطواحين الأشنان فألهم الله الصبر ولطف ، وقيل لى اجتمع بولاة الأمر ، فقلت : أنا قد فوضت أمرى الى الله تعالى وهو يكفينا ، وقلت فى ذلك :

قلت لمن قال أما تشـــتكى

ما قد جرى فهو عظيم جليل

يقيض الله تعـــالى لنـــا

من يأخذ الحق ويشفى الغليل

إذا توكلنـــا عليــــه كفى

وحسبنا الله ونعم الوكيـــل

ضوء السارى إلى معرفة رؤية البارى
عز وجــل

[مقـدمة المؤلف] *

بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم .

الحمد لله الواحد القهار ، العزيز الغفار مصرف الأقدار ، وخالق الاسماع والأبصار ومكور الليل على النهار ، وكل شيء عنده بمقدار .

وصلواته وسلامه على كل عبد مصطفى مختار من الملائكة والأنبياء ، وسائر الأولياء الأبرار ، وربك يخلق ما يشاء ويختار .

وأخص بأطيب الصلاة والسلام نبينا محمداً وآله وصحبه الأخيار السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار الذين جاهدوا الكفار ، وقاتلوا الفجار وفتحوا الأمصار الصابرين والصـادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار ، والتابعين لهم بإحسان الذين رضي عنهم الجبار ، ووقاهم عذاب النار وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار ، وأمر أن يقال لهم فيها ، ولمن سلك طريقهم « سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار » (١) .

---

* ما بين القوسين المركنين من وضع المؤلف .

(١) سورة الرعد : ٢٤

ورضى الله عن أئمة العلم المتبعين للآثار المتمسكين بالأحاديث النبوية والأخبار القامعين بها كل مبتدع مكار ظلوم كفار ، والدامغين بها شبه أولى الضلال والبوار حتى اجتثت من فوق الأرض فما لها من قرار .

وهؤلاء هم المتفقهون فى الشريعة المستنبطون منها المتعظون بها ، المتمثلون قوله تعالى : « فاعتبروا يا أولى الأبصار » (١) المؤمنون بكل ما جاء فى القرآن وصح فى الحديث المنقول غير عادلين به عن ظاهره ما لم تتنكره العقول فهم لا يؤلون فيها الا ما ألجأت الضرورة الى تأويله ، ولا يردون من الأثر إلا ما كان الضعف فى طريقه وسبيله ، وهذه طريقة الأولين من الصحابة والتابعين ، وأئمة المسلمين الى أن ظهرت طائفة تسمى المعتزلة (٢)

---

(١) سورة الحشر : ٢

(٢) نشأت المعتزلة فى بداية القرن الثانى الهجرى فى مدينة البصرة ، وقد أسس هذه الفرقة واصل بن عطاء ، وعمرو بن عبيد .

أما سبب تسميتهم بالمعتزلة فهو أن جماعة المسلمين كانوا يقولون : أن مرتكب الكبيرة مؤمن وان فسق بارتكاب الكبيرة .

وكان واصل بن عطاء يجلس الى الحسن البصرى وتتلمذ عليه فجرى يوما ذكر هذه المسألة فقال واصل انا اقول فى مرتكب الكبيرة من هذه الأمة : انه لا مؤمن ولا كافر وانما فى منزلة بين المنزلتين .

ردت من الآثـــار كثيرا ، وأولت من الآيات والأخبـــار ما كان ظاهره على فهمها عســـيرا ، وخالفت فى رؤية

ووجه تقريره أنه قال : ان الايمان عبارة عن خصال خير اذا اجتمعت سمى المرء مؤمنا وهو اسم مدح ، والفاسق لم يستجمع خصال الخير وما استحق اسم المدح فلا يسمى مؤمنا ، وليس بكافر مطلقا أيضا — لأن الشهادة وســـائر أعمال الخير موجودة فيه ، ولا وجه لانكارها ، لكنه اذا خرج من الدنيا على كبيرة من غير توبة فهو من اهل النار خالدا فيها ، اذ ليس فى الآخرة الا فريقان : فريق فى الجنة وفريق فى السعير لكنه يخفف عنه العذاب وتكون دركته فوق دركة الكفار .

فلما قال واصل بن عطاء بالمنزلة بين المنزلتين غضب الحسن لذلك وطرده من مجلسه فاعتزل عنه وجلس فى ناحية من المسجد ، وانضم اليه عمرو بن عبيد وجماعة وقيل لهما ولأتباعهما : المعتزلون او المعتزلة .

انظر : وفيات الأعيان لابن خلكان جـ ٦ ص ٨ تحقيق د • احسان عباس ، والفرق بين الفرق للبغدادى ص ٢٠ ، ٢١ تحقيق الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد ، والتبصير فى الدين وتميز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين لابى المظفر الاسفراينى ص ١٤ تحقيق الشيخ محمد زاهد الكوثرى والملل والنحل للشهرستانى جـ ١ ص ٤٨ .

ويذهب البعض الى أنهم سموا انفسهم معتزلة ، وذلك عندما بايع الحسن بن على معاوية وسلم اليه الأمر فاعتزلوا الحسن ومعاوية وجميع الناس وذلك أنهم كانوا أصحاب على ، ولزموا منازلهم ومساجدهم وقالوا نشتغل بالعـلم والعبادة فسموا بذلك معتزلة وهناك آراء أخرى فى سبب تسميتهم بهذا الاسم .

انظر : مقدمة فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ص ١٥ تحقيق الاستاذ فؤاد سيد •

والمعتزلة للاستاذ زهدى حسن جار الله ص ١٤ .

المؤمنين ربهم عز وجل فى الدار الآخرة مع أن فى ذلك دلالة آيات ظاهرة ، ونصوص أحاديث صحيحة متظاهرة .

ونرجو من الذى وقفنا عليها ، وأوصلنا إليها ، ورزقنا الإيمان به ، وفهم شريعته الفوز فى جنات عدن برؤيته ، والالتجاء الى حرمه بمنه وكرمه .

وقد كان الشيخ أبو الحسن الأشعرى (١) رحمه الله يرى رأى المعتزلة فى هذه المسألة وغيرها الى أن رأى

---

(١) **الأشعرى** : هو ابو الحسن على بن اسماعيل بن أبى بشر اسحق بن سالم بن اسماعيل ابن عبد الله ابن موسى بن بلال بن ابى برده عامر بن ابى موسى الأشعرى صاحب رسول الله ﷺ ، مؤسس مذهب الأشاعرة ، كان من أئمة المجتهدين ولد فى البصرة ، وتلقى مذهب المعتزلة وتقدم فيه ثم رجع وجاهر بخلافهم ورد على المعتزلة وطوائف الغلاة الأخرى ، وهذا هو جهده الذى نال به مكانته وبلغت مصنفاته ثلاثمائة كتاب منها : « اللمع فى الرد على أهل الزيغ والبدع » « امامة الصديق » و « الرد على المجسمة » و « مقالات الاسلاميين » و « تفسير القرآن والرد على من خالف البيان من أهل الافك والبهتان » و « الابانة عن أصول الديانة » ولد سنة ٢٦٠ هـ وتوفى سنة ٣٢٤ هـ (تختلف المصادر فى تاريخ وفاته) .

انظر : وفيات الاعيان جـ ٢ ترجمة رقم ٤٠٢ والاعلام جـ ٥ / ٦٩ .

وشذرات الذهب لابن العماد جـ ٢/٣٠٣ — ٣٠٥ وتاريخ التراث العربى جـ ٤/٣٥ .

النبى ﷺ فى المنام قال فقال لى : يا أبا الحسن أو ما كتبت يعنى فى الحديث أن الله تعالى يرى فى الآخرة ؟ فقلت بلى يا رسول الله .

قال فما الذى يمنعك من القول به ؟ قلت أدلـــة العقول منعتنى فتأولت الأخبار . فقال : وما قامت أدلة العقول عندك على أن الله تعالى يرى فى الآخرة ؟ . فقلت يا رسول الله إنما هى شبه ، فقال لى تأملها ، وانظر فيها نظرا مستوفا فليست بشبه بل هى أدلة .

قال أبو الحسن : فلما انتبهت فزعت فزعا شديدا ، وأخذت أتأمل ما قاله ﷺ فوجدت الأمر كما قال فقويت أدلة الإثبات فى قلبى ، وضعفت أدلة النفى ، ثم رآه ليلة أخرى فقال له تأمل سائر المسائل ففعل فكان هذا ســبب رجــوعه عن مذهب الاعتزال إلى نصرة مذهب أهل السنة .

أخرج هذه الحكاية بطولها الحافظ أبو القاسم فى كتاب تبيين كذب المفترى فيما نسبه الى أبى الحسن الأشعرى (١) .

---

(١) انظر : تبيين كذب المفترى فيما نسب الى الامام أبى الحسن الأشعرى لأبى القاسم على بن الحسن ابن هبة الله بن عساكر ص ٤٢ ، ٤٣ .

وقد كثر كلام العلماء من أصحابنا من أهل السنة فى تقرير هذه المسألة من المفسرين ، والمحدثين ، والمتكلمين كل منهم يقررها بعلمه ، وما اهتدى اليه من بحثه وفهمه •

وقد رأيت أن أجمع محاسن كلام كل طائفة منهم ، وأنوب فى اختصار ذلك عنهم فى جزء لطيف يحصل به لأهل السنة التعريف ، وللمبتدعين التعنيف •

وقد سميته (ضوء السارى الى معرفة رؤية البارى عز وجل) •

والله تعالى يجلو بصائرنا بنور حكمته ، ويجعلنا أبداً خدام شريعتــه فاهميها ومعلميها مدحضين شبـه كفارها ، ومبتدعيها ، وأن يصــلح أحــوالنا ، ويختم بالصالحات أعمالنا •

فنقول : أطبق أهل السنة على أن الله تعالى يرى بالأبصار فى الدار الآخرة (١) •

---

(١) انظر : كتاب اللمع فى الرد على أهل الزيغ والبدع لأبى الحسن الأشعرى ص ٦١ — ٦٨ تقديم وتعليق الدكتور حموده غرابة .

والانصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهـل به للبـــاقلانى ص ١٧٦ وتحقيق الشـيخ محمـد زاهـد الكوثرى ، والارشـــاد الى قواطع الأدلـة فى أصـــول الاعتقاد لامام الحرمين الجوينى ص ١٧٤ — ١٧٦ تحقيق د . محمد يوسف موسى وعلى عبد المنعم عبد الحميد .

خلافا للمعتزلة ، والدلائل السمعية دالة على حصول الرؤية [١] ، وشبهات المعتزلة فى امتناع الرؤية باطلة فوجب علينا البقاء على تلك الظواهر .

والأدلة السـمعية مسـتفادة من القـرآن ومن السنة الثابتة .

---

(١) ستأتى هذه الادلة على وجه التفصيل .

فصـــل فى أدلة القرآن

وهى أربعـــة :

الأول : قول الله تعالى : ((**وجوه يومئذ ناضرة**)) أى مشرقة بالنعيم حسنة ((**الى ربها ناظرة**)) [١] .

والمراد بهذا النظر : الرؤية المدعاة لوجوه :

[**الوجه**] [٢] **الأول** : أن هذا التفسير منقول عن الصحابة والتابعين .

أخرج الحافظ البيهقى بســـنده عن ابن عباس : (وجوه يومئذ ناضرة) يعنى حسنة (الى ربها ناظرة) قال : نظرت الى الخالق [٣] .

وعن الحسن (إلى ربها ناظرة) قال : تنظر إلى ربها عز وجل حسنها الله عز وجل بالنظر إليه ، وحق لها أن تنضر وهى تنظر إلى ربها . قال وروينا فى ذلك عن عكرمة وغيره من التابعين [٤] .

---

(١) سورة القيامة : ٢٢ ، ٢٣ .

(٢) ما بين القوسين المركنين من وضع المحقق توضيحا للتقسيم .

(٣) انظر : الاعتقاد والهداية الى سبيل الرشـــــاد لأبى بكر احمد بن الحسين البيهقى ص ١٢٦ .

(٤) ارجع فى هذا الى : جامع البيان فى تفســـير القرآن الطبرى ج ٢٨ ص ١٢٠ .
والجامع لأحكام القرآن للقرطبى ج ١٩ ص ١٠٧ .

قلت : وكأن تفسير الحسن رحمه الله يشير إلى أن قوله تعالى : (الى ربها ناظرة) كأنه بيان لسبب النضرة الحاصلة فى وجوههم ، كأنه قيل : ما سبب نضرتها ؟

فقال : إلى ربها ناظرة •

وقال محمد بن كعب القرظى (١) : نضّر الله تعالى تلك الوجوه ، وحسنها للنظر إليه •

وهذا معنى آخر غير معنى قول الحسن •

هذا أثبت الحسن لها قبل النظر لتحصل لها أهلية النظر الى خالقها ، والحسن جعل الحسن لها حاصلا بسبب النظر وكلا المعنيين حسن •

---

(١) هو محمد بن كعب بن سليم القرظى أبو حمزة أحد قدامى التابعين سكن الكوفة ثم تحول الى المدينة ، وقد سئل أبو زرعة عن محمد بن كعب القرظى فقال مدينى ثقة ، وقد وصف بأنه عالم عظيم افاد الثعلبى فى كتابه « الكشف والبيان » من تفسير القرظى ، اختلف فى تاريخ وفاته فقال الواقدى توفى سنة ١١٧ هـ أو ١١٨ هـ وقال غيره سنة ١٢٩ هـ •

انظر : الجرح والتعديل للرازى ج ٨/٦٧ وحلية الأولياء لأبى نعيم ج ٣/٢١٢ وتاريخ التراث العربى لفؤاد سزكين المجلد الأول ج ١/٧٦ وصفة الصفوة لابن الجوزى ج ٢/١٣٤ .

الوجه الثانى : من الأدلة على أن المراد بالنظر فى الآية الرؤية هو أن نقول : ظهر امتناع حمله على غير ذلك مما استعملت فيه العرب لفظ النظر فتعين ما ذكرناه .

بيانه : أنه استعمل النظر لغير الرؤية فى ثلاثة معان

منها : نظر التفكر والاعتبار .

كقوله تعالى : « **أفلا ينظرون الى الإبل كيف خلقت** » (١) .

ومنها : نظر التعطف والرحمة .

كقوله سبحانه : « **ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم** » (٢) .

ومنها : نظر الانتظار .

كقوله عز وجل : « **ما ينظرون الا صيحة واحدة** تأخذهم » (٣) .

فهو بالمعنى الأخير وهو الانتظار معدى بنفسه لا بحرف جر ، وبالمعنيين الأولين معدى بحرف الجر وهو إلى كما ذكرنا من الأمثلة .

---

(١) سورة الغاشية : ١٧ .
(٢) سورة آل عمران : ٧٧
(٣) سورة يس : ٤٩ .

وقد يعدى نظر التعطف بحرف اللام نحو : (نظرت لفلان) إذا رعيت حقه .

ويعدى نظر التفكر بفى نحو : (نظرت فى الأمر) إذا تفحصت عنه وبحثت (١) .

قال إمام الحرفين ابو المعالى ابن الجوينى (٢) رحمه الله :

وجه الدليل من الآية واضح يغنى بوضوحه عن بسط القول ، وكشفه ، ثم ذكر معانى النظر ، ثم قال :

وإنما يتوقع تردد النظر بين جهات المعانى إذا لم يقيد

---

(١) قال صاحب القاموس المحيط : نظره : كنصره وسمعه واليه اى تأمله بعينه ، والنظر محركة : الفكر فى الشىء .

(٢) هو أبو المعالى الجوينى عبد الملك بن أبى محمد عبد الله بن يوسف الفقيه الشافعى ضياء الدين احد الأئمة الأعلام من بلدة جوين بنيسابور ، خرج الى مكة فجاور فيها أربع سنين ينشر العلم ، ولهذا قيل له « امام الحرمين » له مصنفات كثيرة منها : نهاية المطلب فى دراية المذهب ، والعقيدة النظامية ، والشامل فى أصول الدين ، والارشاد ، والبرهان فى أصول الفقه . ولد سنة ٤١٩ هـ وتوفى سنة ٤٧٨ هـ .

انظر : وفيات الأعيان جـ ٢ ترجمة ٣٥١ ، طبقات الشافعية جـ ٣/٢٤٩ .

بإلى فإذا قيد به ، وعدى لم يفهم منه إلا الرؤية الحقيقية فتعين حمل الآية على الرؤية والإبصار (١) .

قلت : وقد بسط جماعة من أصحابنا القول فى إبطال جواز إرادة غير معنى الإبصار من وجوه النظر المذكورة .

فقالوا فى معنى قوله تعالى (الى ربها ناظرة) لا يجوز نظر الاعتبار ؛ لأن الآخرة ليست بدار استدلال واعتبار ، وانما هى دار اضطرار .

ولا يجوز نظر التعطف والرحمة ، لأن الخلق لا يجوز أن يتعطفوا على خالقهم . ولا يجوز نظر الانتظار ، لأنه ليس فى شىء من أمر الجنة انتظار ، لأن الانتظار معه تنغيص وتكدير ، والآية خرجت مخرج البشارة ، وأهل الجنة فيما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر من العيش السليم ، والنعيم المقيم فهم ممكنون مما أرادوا ، قادرون عليه ، وإذا خطر ببالهم شىء أتوا به مع خطوره ببالهم ، وإذا كان ذلك كذلك لم يجز أن يقال : ان الله تعالى أراد بقوله

---

(١) انظر : كتاب الارشاد الى قواطع الأدلة فى أصول الاعتقاد لامام الحرمين الجوينى ص ١٨١ ، ١٨٢ تحقيق د . محمد يوسف موسى وعلى عبد المنعم عبد الحميد .

(إلى ربها ناظرة) نظر الانتظار ، لأن ذلك مناف لما ذكرناه مما هو وارد فى الأحاديث الصحيحة ، وثابت فيها صريح (١) .

قال إمام الحرمين : الانتظار فى نفسه عند كثير من المحققين من الآلام ، وهو عند آخرين تمن ، وكلاهما بعيد عن أهل الجنان ، فإن من لا يتخلف عنه ما يريده فى وقته بوجه من الوجوه فهو على استيقان فى استمرار ما يريده فى مظانه وأوقاته فلا يكون من هذا وصفه منتظرا .

فإن قلت : الانتظار واقع فى يوم القيامة قبل دخول الجنة ، فإذا دخلوا الجنة صار الأمر على ما وصفت على ما نطقت به الأحاديث فلا منافاة . والدليل عليه قوله تعالى بعده :

---

(١) عن ابى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : قال الله عزّ وجلّ اعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ، ولا اذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر واقرأوا ان شئتم (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين) .

رواه البخارى فى تفسير سورة السجدة باب (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم) وفى كتاب التوحيد باب (قول الله تعالى : يريدون أن يبدلوا كلام الله) .

ورواه مسلم فى كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها حديث رقم ٢٨٢٤ .

« ووجوه يومئذ باسره تظن أن يفعل بها فاقرة »(١) .

فظاهر ما فى هاتين الآيتين : انه فى الموقف هؤلاء ينوقعون النار وأليم العذاب وهم الذين وجوههم باسرة أى متكرهه ، مقطبة ، والفاقرة : الداهية من العذاب .

وأولئك متشـــوفون الى نعيم ربهم فى جنـــاته ، والحصول على مرضاته ، وهم الذين وجوههم ناضرة . فقد صح حمل النظر فى الآية على معنى : الانتظار .

قلت : يمنع من ذلك : أن الموصوفين بالنظر الى ربهم وصفت وجوههم بأنها ناضرة ، والنضرة إنما تحصل لهم بعد حلولهم فى نعيم الجنة بدليل قوله تعـــالى : **« ان الابرار لفى نعيم على الأرائك ينظرون تعرف فى وجوههم نضرة النعيم »** (٢) .

وأما فى الموقف فلم يرد دليل سمعى يدل على حصول النضرة فيه فنبقى على هذا الظاهر ، والله أعلم .

ووجه ثان فى امتناع حمل النظر فى الآية على معنى الانتظار وهو أن النظر بمعنى الانتظار لا يعد فعله بحرف إلى ، بل يعدى بنفسه .

---

(١) سورة القيامة : ٢٤ ، ٢٥ .

(٢) سورة المطففين : ٢٢ — ٢٤ .

تقول : نظرت الرجل أى انتظرته ، ولا تقل بهذا المعنى : نظرت إليه •

وعلى ذلك جاء : (ما ينظرون إلا صيحة واحدة) ولم يقل : إلا إلى صيحة •

وقال الشـــاعر :

فإن يك صدر هذا اليوم ولّى فإن غدا لناظره قريب

أى لمنتظره •

وفى القرآن الكريم من ذلك عدة مواضع نحو :

« **لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا** » (١) •

أى ارقبنا وانتظر ما يكون منا ، ولم يقل : انظر إلينـــا •

وقال : « **فهل ينظرون إلا سنة الأولين** » (٢) •

أى هل ينتظرون إلا نزول العذاب بهم •

كما قال سبحانه فى آية أخرى :

« **فهل ينتظرون إلا مثل أيام الذين خلو من قبلهم قل فانتظروا إنى معكم من المنتظرين** » (٣) •

---

(١) سورة البقرة : ١٠٤ •
(٢) سورة فاطر : ٤٣ •
(٣) سورة يونس : ١٠٢ •

وقال عز وجل :

« هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله » (١) .

« هل ينتظرون إلا أن تأتيهم الملائكة » (٢) .

وكل هذا فعل النظر فيه معدى بنفسه لا بحرف الجـــر .

وأما النظر المعدى بإلى فلا يكون الا بمعنى الرؤية وهو المدعى ، أو بمعنى الاعتبار أو التعطف وقد ابطلناهما هنا فتعين معنى الرؤية .

قال ابن حبيب (٣) : النظر على ثلاثة أنواع : نظر

---

(١) سورة البقرة : ٢١٠ .

(٢) سورة الانعام : ١٥٨ .

(٣) هو محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمى أبو جعفر البغدادى من موالى بنى العباس كان عـــلامة بالأنساب ، والأخبار ، واللغة ، والشعر . مولده ببغداد ووفاته بسمراء .

من مصنفاته : كتـــاب « المغتـــالين من الأشراف فى الجاهلية والاســـلام » و « مختلف القبـــائل ومؤتلفهـــا » و « المحبر » و « خلق الانسان » و « المنمق » و « أمهـــات النبى » و « الأمثال على أفعـــل » و « أخبـــار الشعراء وطبقاتهم » و « شرح ديوان الفرزدق » توفى سنة ٢٤٥ هـ.

انظر : بغية الوعاة فى طبقـــات اللغويين والنحـــاة للسيوطى ص ٢٩ والاعلام للزركلى جـ ٣٠٧/٦ ، وتاريخ بغداد جـ ٢٧٧/٢ .

مقرون بإلى ، ونظر مقرون بفى ، ونظر خال منهما فأما النظر المقرون بإلى فهو رؤية العين ، وأما المقرون بفى فهو رؤية القلب ، وأما الخالى منهما فهو بمعنى الانتظار .

فإن قلت : ما المانع أن يقال لما قدم المفعول على عامله هنا ضعف العامل ولا سيما وهو اسم فاعل ، واسم الفاعل أضعف عملا من الفعل فقوى بحرف الجر كما يقال فى (ضربت زيداً) اذا تقدم المفعول لزيد ضربت .

فكذا قوله تعالى « الى ربها ناظرة » أريد ناظرته أى : منتظرته ، فلما قدم المفعول اتصل به حرف الجر .

قلت : لو كان هذا من الباب الذى ذكرت لكان المتصل بالمفعول من حروف الجر اللام دون إلى كالمثال الذى ضربته فى قولك : لزيد ضربت ، فاللام هى المعهودة فى مثل ذلك ألا ترى أنه لا يقال : الى زيد ضربت .

وسبب اتيان كل ذلك باللام دون غيرها من حروف الجر : أن اللام هى الموضوعة تقديرا بين المضافين فى نحو : غلام زيد . إذ تقديره : غلام لزيد فكذا هنا يصح المعنى على تقدير : ضرب له ، ونظر له أى : انتظار له وحرف إلى خارج عن هذا المعنى .

وقوله تعالى :

« **فناظرة بم يرجع المرسلون** » (١) يحتمل أن يكون قوله : فناظرة أن يكون فعله من النظر ، أو من الانتظار ، والباء فى قوله : بم يرجع متصلة بما التى للاستفهام ، ولكونها للاستفهام حذفت ألفها نحو : « لم تقولون » (٢) و « عم يتســاءلون » (٣) و « فيم أنت » (٤) و « مم خلق » (٥) والباء متعلقة بيرجع ، لأن الباء لو لم تدخل على ما لكانت ما فى موضع نصب بيرجع . كقوله تعالى قبل ذلك « **فانظر ماذا يرجعون** » .

وقوله : « **فانظرى ماذا تأمرين** » (٦) .

نصوا على أن ما فى الموضعين منصوبة بيرجعون ، وتأمرين .

فكذا يكون (بم يرجــع) بــم فى موضع نصــب بيرجع .

---

(١) سورة النمل : ٣٥ .
(٢) فى قوله تعالى : « يأيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون » سورة الصف : ٢ .
(٣) سورة النبأ : ١ .
(٤) فى قوله تعالى : « فيم أنت من ذكراها » سـورة النازعات : ٤٣ .
(٥) فى قوله تعالى : « فلينظر الانسان مم خلق » سورة الطارق : ٥ .
(٦) سورة النمل : ٣٢ .

وكذا قــوله « **فلينظر الانســــان مم خــلق** » مم متعلق بخلق لا بقوله : فلينظر .

وقال أبو الحسن الحوفى فى إعرابه : الباء فى قوله (بم يرجع) متعلقة بناظره ، والتقدير : بأى شىء يرجع المرســلون .

ووافق على أن ما فى قوله (ماذا يرجعون) منصوبة بيرجعون ، و (ماذا تأمرين) منصوبة بتأمرين ، ومم فى (مم خلق) متعلق بخلق ، فكذا بم يرجع يكون بم متعلقا بيرجع ، وكذا قوله تعالى « **لننظر كيف تعملون** » [1]

قال الزمخشرى [2] كيف فى محل نصــب بتعملون

---

(١) سورة يونس : ١٤ .

(٢) هو محمود بن عمر بن محمد بن عمر ، أبو القاسم الخوارزمى الزمخشرى عالم فى التفسير ، والحديث ، والنحو واللغة ، وعلم البيان ، لكنه داعية الى الاعتزال .

وصنف كتبا كثيرة منها : « الكشاف فى تفسير القرآن العزيز » و « الفائق فى غريب الحديث » و « أســاس البلاغة » .

وكان معتزلى المذهب مجاهرا شــديد الانكار على المتصوفة اكثر من التشنيع عليهم فى الكشاف وغيره ولــد سنة ٤٦٧ وتوفى سنة ٥٣٨ هـ .

انظر : لســان الميزان لابن حجر جـ ٦/٤ والاعــلام للزركلى جـ ٥٥/٨ ووفيات الاعيان لابن خلكان .

لا بننظر ؛ لأن معنى الاستفهام فيه يجب أن يتقدم عليه عامله (١) .

فإن صح ما قال الحوفى فيكون عدى ناظرة بالباء على معنى الإلصاق أي : التصق انتظارى بهذا الأمر .

فإن قلت : دليل تعدية نظر الانتظـــار بإلى قول جميل بن معمر (٢) .

إنى اليك لما وعدت لناظر نظر الذليل إلى العزيز القاهر

قلت : المراد نظر العين المقرون بالذل والانكسار ؛ لأنه نظر إليها ببصره متنجزا موعدا مقتضيا له نظر الذليل الى العزيز ، ونظر الذليل الى العزيز ليس من بـــاب الانتظار فدل على ما ذكرناه .

---

(١) انظر : الكشـــاف عن حقائق التنزيل وعيــون الأقاويل فى وجوه التأويل للزمخشرى جـ ٢ ص ٢٢٨ .

(٢) هو جميل بن عبد الله بن معمر العذرى القضاعى أبو عمرو شاعر مشهور صاحب بثينة وهي من فتيات قومه عشقها وهو غلام فتناقل الناس أخبارهما ، فلما كبر خطبها فرد عنها فقال الشعر فيها ، وشعره يذوب رقة أقل ما فيه المدح ، واكثره فى التسيب والغزل والفخر توفى سنة ٨٢ هـ.
انظر : وفيات الاعيان لابن خلكان جـ ١/٣٦٦ تحقيق د . احسان عباس ، الاعلام جـ ٢/١٣٤ .

فإن قلت : فما معنى قول حسان[1] .

وجوه يوم بدر ناظرات   الى الرحمن يأتى بالفلاح

وهو حجة للخصم من أحد وجهين :

لأن النظر فيه ان كان بمعنى الانتظار فقد عداه بإلى ، وأنتم قد منعتم تعديته بإلى ، وإن كان من نظر العين فقد أضافه إلى الرحمن ، وحقيقة النظر إلى الرحمن يوم بد غير مرادة قطعا .

لم يبق لتصحيحه وجه إلا أنه على حذف مضاف أى : إلى نصر الرحمن الموعود به ، فكذا يقال فى الآية الأخرى (الى ربها ناظرة) أى الى ثوابه ونحو ذلك .

قلت : المراد بالنظر فى بيت حسان إن صح : نظر الإبصار ، وهو على حذف مضاف أى ناظرات الى سماء انرحمن أى أنهم يترقبون النصر ناظرين إلى الجهة

---

(١) هو حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجى الأنصارى أبو الوليد الصحابى شاعر النبى ﷺ وأحد المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والاسلام عاش ستين سنة فى الجاهلية ومثلها فى الاسلام ، ولد بالمدينة ونشأ فيها ولم يذكر أحد من رواة التاريخ سنة مولده وتوفى فى خلافة معاوية سنة ٥٤ هـ .

انظر : مقدمة ديوان حسان بن ثابت وتهذيب التهذيب لابن حجر جـ ٢٤٧/٢ والاعلام للزركلى جـ ١٨٨/٢ .

التي تأتي النصرة منها ، لأنهم وعـدوا بإنزال الملائكة فانتظروا ذلك ، وترقبوه ، ونظروا الى سماء الرحمن التي هي جهة الرحمة ، وقبلة الدعاء ، ومنها هبوط المدد من الملائكة فقامت الأدلة على هذا والكلام فى البيت خرج على ما هو المعروف فى لغة العـرب من حذف المضاف ، وإقامة المضاف إليه مقامه إذا دل عليه دليل وامتنع حمل الكلام على ظاهره ٠

فإن قلتَ : فلم لا يكون كذلك قوله سبحانه (الى ربها ناظرة) على حذف مضاف أيضا أى الى ثواب ربها ناظرة ، والى جنان ربها وأفعاله وعظيم ما أعدّ لأوليائه ،

قلتُ : زيادة الاضمار من غير حاجـة لا يجوز ، والقرآن على ظاهره إلى أن يقوم دليل على خلافه كقوله تعالى : « اعبدون » (١) « واخشون » (٢) « اتقون » (٣) « ولا تكفرون » (٤) ٠

---

(١) فى مثل قوله تعالى « وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه انه لا اله الا انا فاعبدون » سورة الانبيـاء : ٢٥ ٠

(٢) فى مثل قوله تعالى « اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون » سورة المائدة : ٣ ٠

(٣) فى مثل قوله تعالى « أن أنذروا انه لا اله الا انا فاتقون » سورة النحل : ٢ ٠

(٤) فى قوله عز وجل « فاذكرونى اذكركم واشكروا لى ولا تكفرون » سورة البقرة : ١٥٢ ٠

ليس شيء من ذلك على حذف مضاف ، بل على ظاهره فكذا : (إلى ربها ناظرة) فهو كقوله تعالى :

« فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر الى حمارك » (١) .

« وانظر الى العظام » (٢) . ونحو ذلك .

قال عمرو بن أبى سلمه التنيسى : سمعت رجلا سأل مالك بن أنس رحمه الله فقال : يا أبا عبد الله إن قوماً يقولون فى هذه الآية (وجوه يومئذ ناضرة الى ربهـا ناظرة) أى الى ثواب الله فقال مالك كذبوا وأين هم عن الله عز وجل كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون .

فإن قلت : منع الدليل من حمل نحو (اعبـدون) و (اتقون) على حذف مضاف .

قلت : وكذا منع الدليل فى (الى ربها ناظرة) وهو أن الأصل فى الإطلاق هو الحقيقة فلا يصار الى المجاز وهو الاضمار هنا إلا بدليل راجح ، وهو معدوم هنـا بل الدليل المساوى معدوم أيضا فضلا عن الراجح ، بل الدليل الراجح وارد على وفق الحقيقة كما سيأتى من سياق الأخبار الصحيحة عن رسول الله ﷺ الدالة على ذلك بنصوصيتها .

---

(١) سورة البقرة : ٢٥٩ .

(٢) سورة البقرة : ٢٥٩ .

فإن قلت : يصح أن يعبر بمثل هذه العبارة ويرد مثل هذا اللفظ لما لا يصح رؤيته كقول الشاعر :

ويـــوم بذى قـــار كأن وجـــوههم
الى الموت من وقـــع السيوف نواظر

والموت لا يرى ولا ينظر إليه ، فكذا قوله (إلى ربها ناظرة) فهو مجاز فى الموضعين عن شدة الكشـــف والعلم والتيقن •

وأشير فى الآية الى الحصول على الكرامات ، والنعيم الذى وعدا به من جهة الله تعالى •

قلتُ : ان لم يُرَ الموت فأسبابه مرئية وهو الذى أراده الشاعر تسمية للسبب باسم المسبب •

والعرب تفعل ذلك كثيرا ، وفى عكسه تسمى المسبب باسم السبب نحو :

« وجزاء سيئة سيئة مثلها » (١) •

---

(١) سورة الشورى : ٤٠ •
قال عبد الرحمن بن الجوزى : وانما سمى المجازاة سيئة ، لأن صورة الفعلين واحدة قال الزجاج : والعرب تقول : ظلمنى فظلمته أى جازيته بظلمه ، وجهل فلان على فجهلت عليه . انظر : زاد المسير فى علم التفسير جـ ١ ص ٢٠٢ ، جـ ٧ ص ٢٩٣ •

وأراد الشاعر بالنظر الى الموت : النظر الى الضرب والطعن وفاق الهام (١) وكرّ الأبطال ، وإقدامها وكل ذلك من أسباب الموت .

قال جرير (٢) .

أنا الموت الذى خيرت عنه   فليس لهارب منى نجاة

والمعنى : أنك تجد منى ما يصلح أن يكون سببا لموتك ، أو أنا شبه الموت الذى لا ينجو منه هارب فلصحة هذا المعنى جاز إطلاق اسم الموت عليه .

ومثله فى كتاب الحماسة :

---

(١) الهامة : الراس والجمع هام وهامة القوم رئيسهم (مختار الصحاح) .

(٢) هو جرير بن عطية بن حذيفة الخطفى بن بدر الكلبى اليربوعى التميمى الشاعر المشهور كان من فحول شعراء الاسلام ، وكان بينه وبين الفرزدق مهاجاة ونقائض عاش عمره كله يناضل شعراء زمنه ويساجلهم ولد بقرية أثيفيه احدى قرى الوشم من أرض اليمامة سنة ٢٨ هـ وقيل سنة ٣٠ هـ وتوفى سنة ١١٠ هـ وقيل ١١١ هـ وقيل سنة ١١٤ هـ فى احدى قرى اليمامة .

انظر مقدمة ديوان جرير تحقيق د . نعمان محمد امين طه ، والأغانى لابى الفرج الأصفهانى أول المجلد الثامن ، والأعلام جـ ١١١/٢ ووفيات الأعيان لابن خلكان جـ ٣٢١/١ .

يا أيها الرجل المزجى مطيته

بلغ (١) بنى أسد ما هذه الصوت

وقل لهم بادروا بالعذر والتمسوا

قولا يبرئكم إنى أنا الموت (٢)

فإن قلت : فما معنى قول الشاعر :

وجوه بها ليل الحجاز على النوى الى ملك ركن المغارب ناظرة

قلت : هذا بيت أنشده القاضى أبو بكر بن محمد ابن الطيب (٣) رحمه الله فى كتاب التمهيد ، ثم قال هذا

---

(١) فى كتاب الحماسة (سائل) .
انظر : كتاب الحماسة لأبى تمام ج ١ ص ١٠٢ تحقيق د . عبد الله بن عبد الرحيم عسيلان .
(٢) البيتان لرويشد بن كثير الطائى .
انظر : المرجع السابق نفس الصفحة .
(٣) هو : القاضى أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم المعروف بالباقلانى أصله من البصرة والمرجح أنه ولد فى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى وعاش فى بغداد .
صنف كثيرا من التصانيف منها : « اعجاز القرآن » و « التمهيد فى الرد على الملحدة المعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة » و « كتاب البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات والحيل والكهانة والسحر والترنجيات » و « مناقب الأئمة ونقض المطاعن عن سلف الأمة » و « الانصاف فيما جب اعتقاده ولا يجوز الجهل به » توفى سنة ٤٠٣ هـ — ١٠١٣ م ببغداد .
انظر : وفيات الأعيان ج ٣ ترجمة ٥٨٠ وشذرات الذهب ج ١٦٨/٣ وتاريخ التراث العربى ج ٤٧/٤ — ٥١ .

شعر لا يعرفه أحد من أهل العلم فلا حجة فيه .

وأقول أنا : إنه محمول على التجوز فئ النظر على تقدير صحته نزل تشوفهم اليه ، وترقبهم له ، وتمنيهم لملكه ، ومحبتهم إياه منزلة شخص هو بحضرتهم ينظرون إليـــه .

ومنه قول عمر بن الخطاب لحذيفة بن اليمان رضى الله عنهم من ترى قومك يؤمرون ؟ قال قد نظر الناس الى عثمان ابن عفان رضى الله عنه ، وشهروه لها .

فان قلت : ما المانع أن تكون الى فى قوله تعـالى (الى ربها ناظرة) ليس حرف الجر ولكنه واحد الآلاء وهى النعم ، ويكون مضافا الى الرب وهو منصوب المحل على أنه مفعول به كأنه قال : نعمة ربها ناظرة أى : منتظرة .

قلت : هذا على بعده وقلة استعماله قد أجاب عنه أبو نصر بن القشيرى (١) رحمهما الله فى تفسيره فقال :

---

(١) هو : عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة ابن محمد القشيرى ، الفقيه الشافعى عالم بالفقه والحديث والتفسير ، والأصول والأدب ، والشعر ، وعلم التصوف، جمع بين الشريعة والحقيقة .

من كتبـه : « التيسـير فى التفسـير » ويقال له « التفسير الكبير » و « لطائف الاشارات » فى التفسـير أيضا ، و « الرسالة القشيرية » .

هذا باطل ؛ لأن واحد الآلات يكتب بالألف لا بالياء يعنى وهذه الكلمة مكتوبة فى المصحف بالياء • دل على أنهـا حرف الجر لا واحد الآلات (١) •

قلت وفى هذا الجواب منع إذ قال الجوهرى (٢) فى

ولد سنة ٣٧٦ هـ وتوفى سنة ٤٦٥ هـ بمدينة نيسابور .

انظر : طبقات الشافعية للسبكى جـ ٢٤٣/٣ ، ووفيات الاعيان جـ ٢٠٥/٣ تحقيق د . احسان عباس ، والاعـلام للزركلى جـ ١٨٠/٤ .

(١) رجعت الى « التيسير فى التفسير » للقشيرى وهو مخطوط بقسم المخطوطات بجامعة الملك سعود تحت رقم ٤٨٦٧ ، ورجعت الى « لطائف الاشارات » للقشيرى فلم أعثر فيهما على الكلام الذى ذكره المؤلف .

(٢) هو اسماعيل بن حماد الجوهرى ، ابو نصر .
امام فى علم اللغة ، والأدب ، وكان من أعاجيب الزمان ذكاء وفطنة ، وعلما .

قال ياقوت فى معجم الأدباء : كان من أذكياء العالم ،
من تصانيفه : كتـاب فى العروض سـماه « عروض الورقة » وكتاب « الصحاح » وهو من أشهر كتبه وكتاب « المقدمة » فى النحو ويقول ياقوت : ان هذا الكتاب أحسن من الجمهرة ، وأوقع من تهذيب اللغة ، توفى سنة ٣٩٣ هـ.

انظر : معجم الأدباء لياقوت الحموى جـ ٢٦٦/٢ ، الأعلام للزركلى جـ ٣٠٩/١ ، ولسان الميـزان لابن حجر جـ ٤٠٠/١ .

صحاحه الآلات : النعم واحدها الىً (١) بالفتح ، وقد يكسر ويكتب بالياء مثاله : معى وأمعاء (٢) .

ثم قال ابن القشيرى : ثم الآلاء نعمة الدفع وهم فى الجنة لا ينتظرون دفع محنه عنهم ، والمنتظر للشيء منغص العيش ولا يرضى أهل الجنة بذلك .

قلت : هذا جواب جيد إن ثبت أن الآلاز مختصة بنعم الدفع دون غيرها .

وأنا أقول فى جواب السؤال : أن لغة الفتح فى هذا أكثر كما قال الجوهرى فهى أفصح ، والكلمة فى الآية مكسورة بلا خلاف فلو كان المراد بها واحدة الآلاء لقرئت بالفتح ، أو بالفتح والكسر فحيث أجمع على كسرها دل على أنها ليست تلك ؛ إذ ليس فى القرآن كله كلمة مجمع عليها وهى على غير الفصيح من اللغة بل إما أن تكون على الأفصح ، أو الفصيح أو فيها الوجهان .

وحيث جاء بعض القراءات على غير الفصيح لا يكون فى كلمة مجمع عليها كذلك بل يكون خلافها أيضا مقروءا والأكثر أن عليه الأكثر من القراء ، ومن استقراء هذا العلم عرف ما ذكرناه ، فهذا جواب ذلك والله أعلم .

---

(١) الصحيح : الا كما جاء فى « الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للجوهرى .

(٢) انظر : الصحاح لاسماعيل بن حماد الجوهرى جـ ٦ ص ٢٢٧٠ .

وقد قال تاج القراء محمود بن حمزة الكرمانى (١) فى تفسيره : وقول من جعل إلى واحد الآلاء إلغاز ، وكلام الله منزه عن ذلك .

الوجه الثالث : فى تقرير أن المراد بالنظر فى الآية الرؤية بالعين أن نقول : قرن النظر بالوجوه ، والمراد بالوجوه ظاهرها ، وحقيقتها وهى الجارحة المعروفة لأنها هى التى توصف بالنضارة كما قال الفضيل بن عياض (٢)

---

(١) هو محمود بن حمزة بن نصر ابو القاسم برهان الدين الكرمانى الشافعى ويعرف بتاج القراء عالم بالفقه، والنحو ، والصرف ، والقراءات ، والتفسير نقل فى التفسير آراء مستنكرة فى معرض التحذير منها كان أولى اهمالها ، اثنى عليه الجزرى ، وذكر بعض كتبه منها « لباب التفاسير » وهو المعروف بكتاب « العجائب والغرائب » فى مجلدين ضمنه أقوالا فى معانى بعض الآيات ، قال السيوطى فى « الاتقان » لا يحل الاعتماد عليها ولا ذكرها الا للتحذير منها من كتبه : « لباب التأويل » و « البرهان فى تشابه القرآن » وغيرها من الكتب توفى سنة ٥٠٥ هـ .

انظر : بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة لجلال الدين السيوطى ص ٣٨٧ والأعلام للزركلى جـ ٨/٤٤ ، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة جـ ١٢ ص ١٦١ .

(٢) هو أبو علي الفضيل بن عياض بن مسعود التميمي شيخ الحرم ولد سنة ١٠٥ هـ فى سمرقند وكبر في ابيورد كان فى شبابه قاطع طريق وكان سبب توبته انه عشق جارية فبينما هو يرتقى الجدران اليها سمع تاليا يتلو « الم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله » فقال يارب قد آن فرجع ثم تحول الى حياة زهد قاسية توفي بمكة سنة ١٨٧ هـ .

وسفيان بن عيينه (١) رحمهما الله : ما أحد من أهل العلم أو الحديث يعنى علماؤه العاملين الا وفى وجهه نضرة ؛ لقوله ﷺ : « نضر الله أمرءاً سمع مقالتى فوعاها فأداها كما سمعها ... » الحديث (٢)

فهذه قرينة ترجح أن المراد بالوجوه الجوارح المعروفة ؛ لأن النضرة من أوصافها ، والوجه لا يرى وانما يرى ما خلق فيه من العينين وهوكقوله تعالى : « قد نرى تقلب وجهك فى السماء » (٣) .

انظر : ميزان الاعتدال للذهبى جـ ١٣٦١/٣ ، وطبقات الأولياء لابن الملقن ص ٢٦٦ ، وصفة الصفوة لابن الجوزى جـ ٢٣٧/٢ .

(١) هو سفيان بن عينيه بن ميمون الهلالى الكوفى المكى محدث ، فقيه ، اجمعت الأمة على الاحتجاج به من آثاره : « تفسير القرآن الكريم » .

ولد سنة ١٠٧ هـ وتوفى ١٩٦ هـ .

انظر : ميزان الاعتدال للذهبى جـ ١٧٠/٢ تحقيق على محمد البجاوى ، ومعجم المؤلفين جـ ٢٣٥/٤ .

(٢) رواه الترمذى فى العلم باب (ما جاء فى الحث على تبليغ السماع) حديث رقم ٢٦٥٨ ، وابو داود فى العلم باب (فضل نشر العلم) وهو حديث صحيح ورواه أيضا أحمد وابن ماجه ، والدارمى بألفاظ تختلف عن لفظ هذا الحديث.

انظر : جامع الأصول فى أحاديث الرسول لابن الأثير الجزرى جـ ٨ ص ١٨ تحقيق عبد القادر الأرناؤوط .

(٣) سورة البقرة : ١٤٤ .

وأراد : تقلب عينيه نحو السماء •

وقال نفطويه (١) فيما حكاه عنه الحافظ أبو بكر البيهقى رحمه الله : النظر إذا ذكر مع ذكر الوجوه فمعناه : نظر العينين اللتين فى الوجه (٢) •

قلت : فقد اجتمع فى الآية قرينتان دالتان على أن المراد بالنظر فى الآية الرؤية •

إحداهما : تعديته بحرف الى كما سبق •

والثانية : اقترانه بذكر الوجوه •

وإحدى القرينتين كافية ، فكيف إذا اجتمعتا وذلك أنه يصح أن نقول : نظرت إليه ، ونظرته بوجهى وعينى أى : أبصرته •

---

(١) هو ابراهيم بن محمد بن عرفة بن سلمان بن المغيرة ابن حبيب بن المهلب ابن أبى العتكى الأزدى من علما النحو، والفقه ، والحديث ، والأدب وكان دميم الخلقة فلقبوه « نفطويه » تشبيها اياه بالنفط لدمامته وأدمته « سمرة الجلد والبشرة » من مؤلفاته « كتاب التاريخ » و « غريب القرآن» وغيرها ولد سنة ٢٤٤ ﻫ بواسط (بين البصرة والكوفة) ومات ببغداد سنة ٣٢٣ ﻫ ودفن بالكوفة •

انظر : وفيات الاعيان ج ٤٧/١ ، ومعجم الأدباء لياقوت الحموى ج ٢٥٤/١ ، والأعلام ج ٥٧/١ •

(٢) انظر : الاعتقاد والهداية الى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث لأبى بكر أحمد بن الحسين البيهقى ص ١٢١ تقديم وتعليق أحمد عصام الكاتب •

فإذا قلـت : نظرت إليـه بوجهى فقـد اجتمعت القرينتان .

وإنما جاز إضافة النظر الى الوجه ؛ لأن العين فى الوجه ، كما يضاف النظر الى جملة الإنسان فيقال : نظر زيد الى عمرو ، والمعنى : أنه أدركه بحاسة النظر وهى العين ، فهو من التجوز الذى ظهر وغلب الحقيقة .

وقيل : الوجه يكون بمعنى العين .

قال تعـالى حكاية عن يوسـف عليه السـلام : « فألقوه على وجه أبى يأت بصيرا » (١) .

أى على عينيه ، وهذا ضعيف ، بل المراد : الوجه حقيقة ، ويلزم ظاهرا من القائه على الوجه أن يصيب عينيه ، ويبعد أن يلقى على العينين ولا يصيب الوجـه فلهذا قال ابن القشيرى :

ولا يبعد قلب العادة يعنى يوم القيامة حتى يخلق النظر ، والرؤية فى كل الوجه .

وهو كقوله تعالى « **أفمن يمشى مكبا على وجهـه** أهـــدى » (٢) فقيل يا رسول الله كيف يمشون فى النار على وجوههم ؟

---

(١) سورة يوسف : ٩٣ .
(٢) سورة الملك : ٢٢ .

فقال الذى أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم (١) .

قال : وقيل أضاف النظر الى الوجه ، لأن العين فى الوجــه .

وهو كقوله تعالى « **تجرى من تحتها الأنهار** » (٢) والماء يجرى فى النهر لا النهر يجرى .

فإن قلت : لعل الوجوه فى الآية بمعنى الرؤساء ، من قولهم : هؤلاء وجوه القبائل ، والعشائر أى : الملأ الأشراف .

قلت : هذا باطل من وجوه :

---

(١) رواه البخارى بلفظ « أليس الذى أمشاه على الرجلين فى الدنيا قادرا على أن يمشيه على وجهه يــوم القيامة » .

انظر : صحيح البخارى تفسير ســورة الفرقان بــاب قوله تعالى « الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم أولئك شر مكانا واضل سبيلا » .

ورواه احمد بلفظ « ان الذى أمشاهم على رجلهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم » وبلفظ « ان الذى امشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم » .

انظر : مسند الامام احمد جـ ٢ ص ٣٥٤ ، ٣٦٣ .

(٢) سورة البينة : ٨ وأمثال تلك الآية كثير فى سور القرآن الكريم .

الأول : أنه تجوز ، فإن لفظ الوجـــه حقيقة فى الجارحة المخصوصة فإذا استعمل بمعنى الشريف فهو تجوز تشبيها له بالوجه بالإضافة الى الجسد ، فإنه أشرف الأعضاء الظاهرة ، فيستعار اسمه ، ويطلق على المتميز من قومه ، وليس لهم صرف الوجوه عن حقيقتها إلا بدلالة .

الثانى : أنه تعالى وصف الوجـــوه بالنضرة وهى الإشراق ، والإضاءة وتهلل الأسارير ، وانما يوصف بذلك الجوارح المخصوصة دون الشرفاء المتميزين المختصين بشرف الحسب ، والنسب .

ولهذا عقبه بذكر وجوه الكفار ، ووصفها بالكلح .

ولا خفاء بأن الصفتين : النضرة ، ونقيضها من صفات الجوارح .

الثالث : أن النضرة يومئذ لا تخص الرؤساء دون غيرهم ، بل هى لكل من هو من أهل الجنة .

قال الله تعالى : **« إن الأبرار لفى نعيم على الأرائك ينظرون تعرف فى وجوههم نضرة النعيم »** (١) .

---

(١) سورة المطففين : ٢٢ ــ ٢٤ .

فأضاف ذلك الى جميعهم فبطل أن يراد بالنضرة رؤسا الآخرة أى الأشراف من الأبرار •

ولا جائز أن يكون المراد بهم الرؤساء من أهــل الدنيا ؛ فإنهم هم المتصنعون (١) يوم القيامة ، وآخر الأبرار إنما هم من الضعفاء والفقراء ، ومن يزدرى فى الدنيا من الخلق ، ولأنه لو أراد ذلك لأشبه أن يقــول سبحانه : ناظرون الى ربهم ولم يقل ناظرة الى ربها ، فإن الأول ضمير العقلاء دون الثانى ، وإن كان قد تجوز بكل واحد فى موضع الآخرة لكنه قليل بشروط غير موجودة هنــا •

فإن قلت : أهل الجنة كلهم وجوه فلهذا قال وجوه يومئذ ناضرة ، ولم يرد الأشراف منهم •

قلتُ : فما تصنع بقوله بعده ((**ووجوه يومئذ باسرة**)) ليس لك أن تحمله إلا على الوجوه فى الدنيا ، والبسور لاحق يومئذ الرؤساء من الكفرة والمرءوسين وانما وزان هاتين الآيتين قوله تعالى ((**يوم تبيض وجوه وتســود وجــوه**)) (٢) فالذين ابيضت وجوههم هم الذين وجوههم ناضرة ، وهم أهل الجنة والذين اسودت وجوههم هم

---

(١) المتصنعون : الخاضعون الأذلاء •
انظر : القاموس المحيط ج ٥٨/٣ •
(٢) سورة آل عمران : ١٠٦ •

الذين وجوههم باسرة أى مقطبة كريهة وهم أهل النـــار على الإطـــلاق •

وقال أبو القاسم الزمخشرى فى تفسيره : أنوجــه عبار عن الجملة أنى ربها ناظرة تنظر الى ربها خاصـــة لا تنظر الى غيره ، وهذا معنى تقديم المفعول ألا ترى الى قوله « الى ربك يومئذ المستقر » (١) « الى ربك يومئذ المساق » (٢) « ألا إلى الله تصير الأمور » (٣) « واليه ترجعون » (٤) « والى الله المصير » (٥) « عليــه توكلت واليه أنيب » (٦) •

كيف دل فيها التقديم على معنى الاختصاص ومعلوم أنهم ينظرون الى أشياء لا يحيط بها الحصر ، ولا تدخل تحت العدد فى محشر تجتمع فيه الخلائق ، فإن المؤمنين نظارة ذلك اليوم ؛ لأنهم الآمنون الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، فاختصاصه بنظرهم اليه لو كان منظورا اليه محال فوجب حمله على معنى يصح معه الاختصاص، والذى يصح معه أن يكون من قول الناس : أنا إلى فلان ناظر ما يصنع بى • يريد معنى التوقع والرجاء •

---

(١) سورة القيامة : ١٢ •
(٢) سورة القيامة : ٣٠ •
(٣) سورة الشورى : ٥٣ •
(٤) سورة البقرة : ٢٤٥ •
(٥) سورة آل عمران : ٢٨ •
(٦) سورة هود : ٨٨ •

ومنه قول القائل :

وإذا نظرت إليك من ملك والبحر دونك زدتني نعما

قال : وسمعت سروية (١) مستجدية بمكة وقت الظهر حين يغلق الناس أبوابهم ويأوون الى مقايلهم تقول : عيينتي نويظرة الى الله وإليكم ، والمعنى أنهم لا يتوقعون النعمة والكرامة إلا من ربهم كما كانوا في الدنيا لا يخشون ولا يرجون إلا إياه (٢) .

قلت : هذا الذي ذكره من أن الوجه عبارة عن الجملة دعوى لم يذكر لها دليلا وقد ذكر غيره لها دليلين :

أحدهما : أنه سبحانه وصفها بكونها ناظرة ، والنظر على أي وجه حمل فإنه يرجع الى الجملة دون الجوارح المختصة .

قلت : وهذا ممنوع بل كما يضاف الى الجملة يضاف الى العضو الخاص المدرك لذلك نحو : نظرت إليه ، ونظرت عيني إليه ، وضربته وضربته يدي .

وقد تقدم أن الوجه أضيف النظر إليه لأن العين فيه ، أو لأنه قد يعبر به عن العين ، ولهذا قال بعض

---

(١) السروية : الجارية .

(٢) انظر : الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل جـ ٤ ص ١٩٢ .

المفسرين فى قوله تعالى « **ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منهـــا** » (١) قال يعنى به الوجه والكفين (٢) أى بعض الوجه وهو العينان ، لأنهما هما اللتان تبدوان من المرأة بعد البرقع ونحوهما ، وما يقرب منهما ولم يرد ابراز الوجه كله ، فإن معظم الفتنة من الوجه .

الثانى من الدليلين على أن المراد بالوجه الجملة قوله تعالى « **تظن أن يفعل بها فاقره** » (٣) والظن لا يضاف الى الوجه الذى يواجه به ، وإنما يضاف الى الجملة والى القلب لأنه معدنه .

وأجاب امام الحرمين عن هذا بوجهين .

أحدهما : لا يبعد تقدير ظن قائم بالوجه يخرق الله تعالى العادة فيه ، ويبدعه ويخترعه على خـــلاف المعتاد منه فى الدنيا كما يستنطق الجوارح والجلود .

الثانى : أن تقول قد ثبت أن المراد بالوجه الجارحة، بدليل صفتى : النظرة والبسرة فغاية قوله (تظن) أن

---

(١) سورة النور : ٣١ .

(٢) ممن قال بذلك سعيد بن جبير وعطاء والضحاك .
انظر : جامع البيـــان فى تفســـير القرآن لابن جرير الطبرى جـ ١٨ ص ٩٣ ، ٩٤ .
والجامع لأحكام القرآن للقرطبى جـ ١٢ ص ٢٢٨ ، ومختصر تفسير ابن كثير المجلد الثانى ص ٦٠٠ .

(٣) سورة القيامة : ٢٥ .

تكون إضافة الظن الى الوجوه مجازا ، وإذا ثبت وجه من التجوز بدلالة تقوم عليـــه فلا يجب حمـــل جملة الألفاظ فى الآية على التجوز والتوسع ، والأصل أن تقر الألفاظ على حقائقهـــا الى أن تقع أدلة مقتضـــية صرفها عن وجهها .

قال ثم نقول لو سلم لكم جدلا أن المراد بالوجوه الجمـــل والأشـــخاص والأنفس فليس فى ثبوت ذلك ما ينفى الاحتجاج ؛ فإن النظر المعدى بإلى إذا ثبت أنه الرؤية فليس فى إضافة الرؤية الى الجمل ما يقدح فى استدلالنا ويصدنا عن مرامنا فإنه عز من قائل لو قال : أناس يومئذ ناظرون الى الله تعالى ، وأشخاص ناظرة الى الله تعالى لكان الاحتجاج بذلك مستقيما .

قلت : وقيل التقدير : يظن أصـــحاب الوجوه ، فلما حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه أسند الفعل إليـــه .

وقيل التاء فى تظن للخطاب لا للتأنيث أى تظن يا محمد ، أو يأيها المخاطب .

وأما ما ذكره الزمخشرى بعد قوله : الوجه عبارة عن الجملة فمعنى حسن لولا أن أحاديث صحيحة مصرحة برؤية الله تعالى يوم القيامة فوجب حمـــل الآية على

ظاهرها الموافق لما ثبت فى السنة من قول النبى ﷺ على ما سنسرده من الآثار فى ذلك حتى قال ترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر .

وفى تقديم المفعول من معنى الاختصاص ما نذكره وهو أنهم إذا نظروا الى ربهم عز وجل لم ينظروا الى سواه ، بل خصوه بنظرهم ؛ لأنه أشرف الأشياء التى أكرمهم بها عز وجل .

كما جاء فى الحديث : « فوالذى نفسى بيده ما أنعم الله عليهم بنعمة أحب إليهم من النظر الى وجهه » (١).

وهذا المعنى من الاختصاص هو المسوغ لتقديم المفعول هنا ، وحيثما قدم منصوبا كان أو مجرورا نحو : اللهم إياك نعبد ، ولك نصلى ونسجد ، واليك نسعى ونحفذ .

---

(١) رواية احمد وابن حبان وابن ماجه : « فوالله ما اعطاهم الله شيئا احب اليهم من النظر اليه ولا اقر لأعينهم » .
انظر : كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال لعلاء الدين الهندى جـ ١٤ حديث رقم ٣٩٢٠٥ ورواية هدبة بن خالد عن حماد بن سلمة قال : قال رسول الله ﷺ : « والذى نفسى بيده ما أعطاهم شيئا هو احب اليهم ولا أقر لأعينهم من النظر الى وجه الله تبارك وتعالى » .
انظر : الاعتقاد والهداية الى سبيل الرشاد لأبى بكر احمد بن الحسين البيهقى ص ١٢٤ .

ولولا ذلك المعنى من الاختصاص لقال : ناظرة التى ربها ناضرة بتقديم النظر بالظاء على النضرة بالضاد ، وكان المفعول من الجار والمجرور متأخرا عن عامله على ما هو أصل الكلام ، والمعنى واحد فى التقديم والتأخير لولا ما فى التقديم من هذا الاختصاص المذكور .

وبقى من الاعتراض على الاستدلال بهذه الآية ما سيأتى فى فصل بعد فصول استدلال المعتزلة إن شاء الله تعالى .

الدليل الثانى من القرآن : قوله تعالى : « **للذين أحسنوا الحسنى وزيادة** » (١) .

قال الحسن بن عرفة (٢) حدثنا سلم بن سالم البلخى عن نوح بن أبى مريم عن ثابت البنانى عن أنس بن مالك قال سئل رسول الله ﷺ عن هذه الآية (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) فقال « للذين أحسنوا

---

(١) سورة يونس : ٢٦ .

(٢) هو الحسن بن عرفة بن يزيد العبدى ، أبو على البغدادى محدث صدوق ، سمع اسماعيل ابن عياش وطبقته، وروى عن عبد الله بن المبارك وغيره ، وروى عنه الترمذى وابن ماجه وغيرهما ، توفى سنة ٢٥٧ هـ .

انظر : شذرات الذهب لابن العماد جـ ١٣٦/٢ وتقريب التهذيب لابن حجر جـ ١/ ١٦٨ ومعجم المؤلفين جـ ٢٤٥/٣ وتاريخ التراث العربى لفؤاد سزكين المجلد الأول جـ ٢٥٩/١ .

العمل فى الدنيا الحسنى وهى الجنة ، قال والزيادة : النظر الى وجه الله الكريم »(١) .

قال أبو بكر بن السمعانى روى من غير وجه عن النبى ﷺ أنه قال : « الزيادة : النظر الى وجـه الله الكريم » .

قال الحافظ أبو بكر البيهقى رحمه الله قد فسر رسول الله ﷺ المبيِّن عن الله عز وجل فمن بعـده من الصحابة الذين أخذوا عنه ، والتابعين الذين أخـذوا عن الصحابة أن الزيادة فى هذه الآية النظر الى وجـه الله تبارك وتعالى وانتشر عنه وعنهم إثبات رؤية الله تعالى فى الآخرة بالأبصار .

ثم قال : روينا عن أبى بن كعب ، وكعب بن عجرة عن النبى ﷺ فى قوله (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) قال النظر الى وجه الرحمن .

وعن عامر بن سعد عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه فى قوله تعالى (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) قال : زيدوا النظر الى ربهم . وفى رواية زيدوا النظر الى وجه الرب عز وجل .

---

(١) انظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبى جـ ٨ ص ٣٣٠ .

قال : وروينا هذا التفسير عن حذيفة بن اليمـــان وأبى موسى الأشعرى رضى الله عنهما (١)

وقال هوذه بن خليفة حدثنا عوف عن الحســـن (للذين أحسنوا الحسنى) قال : الجنة . وزيادة قال : النظر الى الرب عز وجل .

وروينا عن سعيد بن المسيب ، وعبد الرحمن بن أبى ليلا ، وعبد الرحمن بن سابط وقتادة وغيرهم من التابعين معنى قول الحسن البصرى فى تفسير الزيادة فى هذه الآية : بالنظر الى وجه ربهم عز وجل (٢) .

قلت : وفى تفسير الثعلبى (٣) عن ثابت عن أنس

---

(١) انظر جامع البيان فى تفسير القرآن للطبرى جـ ٧ ص ٧٤ ، ٧٥ ومختصر تفسير ابن كثير المجلد الثانى ص ١٩١ والجامع لأحكام القرآن للقرطبى جـ ٨ ص ٣٣٠ .

(٢) انظر : جامع البيان فى تفسير القرآن لابن جرير الطبرى جـ ٧ ص ٧٥ .

(٣) هو ابراهيم بن السرى بن سهل ، أبو اسحاق النيسابورى الثعلبى له كتـــاب « عرائس المجالس » فى قصص الأنبياء ، وكتاب « الكشف والبيان فى تفسيـــر القرآن » ويعرف بتفسير الثعلبى وهو مخطوط بمكتبـــة الأزهر من أول سورة البقرة الى آخر سورة الفرقان وباقى الكتاب مفقود .

انظر : وفيات الأعيان لابن خلكان جـ ٧٩/١ تحقيق د . احسان عباس ، وهدية العارفين للبغدادى المجلد الأول ص ٧٥ ، والتفسير والمفسرون للدكتور محمد حسين الذهبى جـ ١ ص ٢٢٨ .

عن النبى ﷺ قال : الزيادة : النظر الى وجه الله الكريم، قال : وهو قول أبى بكر الصديق ، وحذيفة وأبى موسى، وصهيب ، وعبادة بن الصامت ، وكعب بن عجرة ، وعامر ابن سعد ، وعبد الرحمن بن سابط ، والحسن ، وعكرمة، وأبى الجوزاء ، والضحاك والسدى ، وعطاء ، ومقاتل (١) .

وفى كتاب المعانى لأبى اسحاق الزجاج (٢) قال : ويجوز أن تكون الزيادة تضعيف الحسنات (٣) ، لأنه قال عز وجل **« من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها »** (٤)

قال : والقول الأول فى النظر الى وجه الله كثير فى التفسير ، وهو مروى بالأسانيد الصحاح لا شك فى ذلك.

---

(١) انظر : الكشف والبيان فى تفسير القرآن مخطوط بمكتبة الأزهر تحت رقم ٢٠٥٦ .

(٢) هو ابراهيم بن السرى بن سهل ، أبو اسحاق الزجاج ، عالم بالنحو واللغة كان من أهل الفضل والدين، من كتبه : « معانى القرآن » و « خلق الانسان » و «الأمالى» فى الأدب واللغة و « كتاب القوافى » وغيرها من الكتب ولد سنة ٢٤١ هـ وتوفى ٣١١ هـ .

انظر : تاريخ بغداد للخطيب البغدادى ج ٦/ ٨٩ ، ووفيات الأعيان ج ١/ ٤٩ ، والأعلام للزركلى ج ١/ ٣٣ .

(٣) ممن قال بذلك : ابن عباس ، وعلقمه ، وقتادة.

انظر : جامع البيان فى تفسير القرآن للطبرى ج ٧ ص ٧٦ ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبى ج ٨ ص ٣٣١.

(٤) سورة الأنعام : ١٦٠ .

الدليل الثالث من القرآن : قوله تعالى « كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون »(١) .

قال أبو بكر السمعانى (٢) استدل مالك بن أنس، وابن عيينه ، والشافعى وأحمد بن حنبل ، وجماعة من أئمتنا بهذه الآية على أن المؤمنين يرون الله تعالى فى الجنة .

قلت : ووجه الاستدلال أن يقال : تخصيص الكفار بهذا الحجب دليل على أن المؤمنين لا يكونون محجوبين.

ولو كان الحجب عاما مشتركا بين الفجار والأبرار لما نادى على الفجار بذلك وساق مساق ما حرموه من الخير ، وما يلقــونه من الشر ، ولكان كقولك : الكافر

---

(١) سورة المطففين : ١٥ .

(٢) هو محمد بن منصور بن محمد بن عبد الجبــار السمعانى ، التميمى المروزى (أبو بكر تاج الاسلام) محدث فقيه ، أديب ، مؤرخ ، نسابه ، واعظ ولد بمرو ، وأملى مائة وأربعين مجلسا فى الحديث .

من تصانيفه : « أمال » فى ثلاثة مجلدات و « أسباب المغفرة » .

ولد سنة ٤٦٦ هـ وتوفى سنة ٥١٠ هـ .

انظر : الأنساب لعبد الكريم بن محمد السمعانى ج ١ ص ١٢ ، ١٣ ، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ج ٥٢/١٢ ، وهدية العارفين للبغدادى المجلد الثانى ص ٧٥.

لا يبعث قبل يوم القيامة ، وهــذا غير مستحسن من القول ، وإن كان صــحيحا ، إذ لا فائدة من تخصص الكافر به فكذا القول فى حجبهم عن ربهم .

قال مالك بن أنس الامام رحمه الله : لو لم يــر المؤمنون ربهم لم يعير الله الكفار بالحجــاب ، وقال : (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) وعنه أيضا قال لما حجب أعداءه فلم يروه تجلى لأوليائه حتى رأوه (١).

وقال الامام الشــافعى رحمه الله لما حجبهم فى السخط كان هذا دليلا على أنهم يرونه فى الرضى ، وفى رواية لما حجب قوما بالسخط دل على أن قوما يرونه بالرضــا .

قال الربيع قلت للشافعى وتدين بهذا يا سيدي فقال : والله لو لم يوقن محمد بن إدريس أنه يرى ربه فى الآخرة ما عبده فى الدنيا (٢) .

وقال الحسن البصرى رحمه الله لو علم الزاهدون أنهم لا يرون ربهم فى المعاد لزهقت أنفسهم فى الدنيا.

وقال أبو اسحاق الزجاج رحمه الله فى هذه الآية دليل على أن الله تعالى يرى فى القيامة ولولا ذلك لما كان

---

(١) انظر : الجامع لأحكام القرآن جـ ١٩ ص ٢٦١ .
(٢) المرجع السابق نفس الصفحة .

فى هذه الآية فائدة ، ولا خسست منزلة الكفار بأنهم محجوبون عن الله .

وقال الله فى المؤمنين (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظـرة) فأعلم أن المؤمنين ينظرون اليه ، وأعلم أن الكفـار محجوبون عنه (١) ، ثم بعـد حجبهم عن الله يدخلون النار ولا يخرجون منها .

وقال أبو نصر بن القشيرى معنى الآية أنهم بعد العرض والحساب لا ينظرون الى الله وينظر اليـه المؤمنون (٢) ، قال وقيل إنهم محجوبون عن رحمة الله فلاينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم (٣) .

قلت : هذا هو تأويل أهل الاعتزال ، ومن لا يرى صحة رؤية الله سبحانه فيرى أن فى الآية مجازا من جهة حذف المضاف ، وإقامة المضاف اليه مقامه ، لاستحالة إرادة الحقيقة على زعمه .

---

(١) المرجع السابق نفس الصفحة .
(٢) انظر : لطائف الارشادات للقشيرى .
(٣) قال مجاهد فى قوله تعالى « لمحجوبون » أى عن كرامته ورحمته ممنوعون .
وقال قتادة هو أن الله لا ينظر اليهم برحمته ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم وهو قول ابن عباس أيضا .
انظر : الجامع لأحكام القرآن جـ ١٩ ص ٢٦١ ، الكشاف للزمخشرى جـ ٤ ص ٢٣٢ وتفسير ابى السـعود جـ ٥ ص ٤٩٩ .

قال الشريف الرضى (١) فى كتاب مجاز القرآن : هذه استعارة ومجاز ، لأن الحجاب لا يطلق إلا على من يصح عليه الظهور ، والبطون ، والاستتار ، والبروز ، وذلك من صفات الأجسام المحدثة ، والأشخاص المؤلفة.

قال والمراد بذكر الحجاب ههنا أنهم ممنوعون من ثواب الله تعالى مذودون عن دخول جنته ودار مقامته ، وأصل الحجاب المنع ومنه قولنا فى الفرائض الإخوة يحجبون الأم من الثلث الى السدس أى يمنعونها من الثلث ويردونها الى السدس ومنه أيضا قولهم : حُجب فلان عن باب الأمير أى رُد عنه ، ودفع دونه قال : ويجوز أن يكون لذلك معنى آخر وهو أنهم غير مقربين عند الله تعالى بصالح الأعمال ، واستحقاق الثواب فعبر تعالى عن هذا المعنى بالحجاب ، لأن المبعد المُقصى يحجب عن الأبواب ، ويبعد من الجناب •

---

(١) هو محمد بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى ابن ابراهيم بن موسى بن جعفر ابن محمد بن على بن الحسين ابن على أبى طالب أبو الحسن الرضى العلوى له ديوان شعر فى مجلدين ، وله كتب منها : «المجازات النبوية» و «مجازات القرآن» و «مجموع مادار بينه وبين ابى اسحاق العبائى من الرسائل» «مختار شعر العبائى» ولد سنة ٣٥٩ هـ وتوفى سنة ٤٠٦ هـ

انظر : تاريخ بغداد للخطيب البغدادى جـ٢/٢٤٦

وقال أبو القاسم الزمخشري : وكونهم محجوبين عنه تمثيل للاستخفاف بهم ، وإهانتهم لأنه لا يؤذن على الملوك الا للوجهاء المكرمين لديهم ، ولا يحجب عنهم إلا الأدنياء المهانون عندهم (١) .

قلت : وسيأتى إن شاء الله تعالى دليل جواز رؤية الله عقلا وأن لا استحالة فيها وإذا كان كذلك بالوجه حمل الكلام على الحقيقة ، أو ما هـو أقرب الى الحقيقـة والعدول عن إضمار ما الكلام مستغن عنه من حذف مضاف ونحوه فبان رجحان تفسير ذلك بالحجب عن رؤية الله تعالى التى قام الدليل على جوازها عقلا ، ووقوعها سمعا فى الآخرة للمؤمنين والله أعلم .

---

(١) وقد علق الامام ناصر الدين احمد بن محمد بن المنير فى كتاب « الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال » على ما ذهب اليه الزمخشرى من أن المراد بكونهم محجوبين عنه تمثيل للاستخفاق بهم واهانتهم بقوله : هذا عند أهل السنة على ظاهره من أدلة الرؤية ، فان الله تعالى لماخص الفجار بالحجاب دل على أن المؤمنين الأبرار مرفوع عنهم الحجاب ، ولامعنى لرفع الحجـاب الا الادراك بالعين ، والا فالحجاب على الله تعالى بغير هذا التفسير محال ، هذا هو الحق وماذا بعد الحق الا الضلال ، وما أرى من جحد الرؤية المدلول عليها بقواطع الكتاب والسنة يحظى بها ، والله المسئول فى العصمه .
أنظر : الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل لابى القاسم الزمخشرى جـ٤ ص ٢٣٢ .

الدليل الرابع قوله تعالى : « فمن كان يرجو لقاء ربه » (١) .

وكذلك سائر ما ورد من آيات اللقاء ، قد حمل جماعة من العلماء معنى اللقاء فيها على رؤية الله تعالى مثل قوله تعالى :

« تحيتهم يوم يلقونه سلام » (٢) .

قال أبو بكر البيهقى واللقاء إذا أطلق على الحى السليم لم يكن الا رؤية بالعين وأهل هذه التحية لا آفة بهم .

ثم اسند الحافظ البيهقى عن أبى هريرة قال كان رسول الله ﷺ بارزا للناس فأتاه رجل فقال يا رسول الله ما الايمان ؟ قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتابه ولقائه ورسله ، وتؤمن بالبعث الآخر ، وذكر باقى الحديث .

قال واللقاء المذكور فى هذا الحديث هو لقاء الله عز وجل ، فقد أفرد البعث بالذكر (٣) .

---

(١) سورة الكهف : ١١٠

(٢) سورة الأحزاب : ٤٤

(٣) انظر : الاعتقاد والهداية الى سبيل الرشاد لأبى بكر احمد الحسين البيهقى ص ١٢٧ .

وقال فى حديث دعاء التهجد : « ووعدك حق ولقاؤك حق » (١) .

وفى رواية أبى بكر عن النبى ﷺ « وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم » (١) .

وفى حديث أنس ابن مالك فى قصة الأنصار أن النبى ﷺ قال لهم : « اصبروا حتى تلقوا الله ورسوله » (٣) .

وقد استدل البخارى بهذه الأحاديث الثلاثة وغيرها كقوله : « من اقتطع مال امرىء مسلم بيمين كاذبة لقى الله عز وجل وهو عليه غضبان » ثم قرأ « ان الذين **يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا أولئك لا خلاق لهم فى الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيامة»**(٤)

وفى كتاب البيهقى قال وهب بن زمعة أخبرنى على الباسانى قال سألت عبد الله ابن المبارك عن قول الله

---

(١) رواه البخارى فى كتاب الدعوات باب الدعاء اذا انتبه بالليل ورواه أحمد فى المسند جـ٥ ص ٣٧ .

(٢) رواه مسلم فى كتاب القامه باب (تغليظ تحريم الدماء والأعراض والاموال) حديث رقم ١٦٧٩ .

(٣) رواه البخارى فى كتاب التوحيد باب قول الله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) .

(٤) انظر : صحيح البخارى جـ ٨ كتاب التوحيد باب قول الله تعالى (وجوه يمئذ ناضرة الى ربها ناظرة) .

عز وجل : ((**فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا**)) .. الآية فقال عبد الله من أراد النظر الى وجه خالقه فليعمل عملا صالحا ولا يخبر به أحدا (١) .

وفى صحيح البخارى عن عدى بن حاتم قال قال رسول الله ﷺ ((ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان ، ولا حجاب يحجبه ، وفى رواية صاحب ولا ترجمان)) (٢) .

قال البيهقى : يريد توليه المحاسبة بنفسه .

وعن الحسن البصرى قال لا يبقى أحد من خلقه إلا رآه يوم القيامة ، ثم يحجب عنه الكافرون ، ويراه المؤمنون فذلك قوله سبحانه (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) .

---

(١) انظر : الاعتقاد والهداية الى سبيل الرشاد لأبى بكر بن أحمد بن الحسين البيهقى ص ١٢٧ .

(٢) رواه البخارى بهذا اللفظ فى كتاب التوحيد باب : (كلام الله عز وجل) وباب : (قول الله تعالى وجوه يومئذ ناضره الى ربها ناظرة) .

ورواه فى كتاب الرقاق باب : (من نوقش الحساب عذب) بلفظ ((مامنكم من أحد الا وسيكلمه الله يوم القيامة ليس بين الله وبينه ترجمان)) .

ورواه فى كتاب الزكاة بـاب : (الصدقة قبل الرد) بلفظ ((ثم ليقفن أحدكم بين يدى الله ليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان يترجم له)) .

قال البيهقي ومن زعم أن جميع الخلائق يرون الله تعالى يوم القيامة ليعرفوه ضرورة ، ولتكون رؤيتهم إياه بشارة للمؤمنين ، وحسرة على الكافرين ، كما يريهم مقاعدهم من الجنة والنار ؛ ليعرف المؤمنون ما دفع الله عنهم فيزدادوا سرورا ويعلم الكافرون ما فاتهم فيزدادوا حسرة وندامة .

احتج بهذا الخبر يعنى حديث أبى سعيد وهو فى الصحيح ، وسيأتى عند ذكر أحاديث الرؤية وفيه : اذا كان يوم القيامة نادى مناد ألا لتلحق كل أمة ما كانت تعبد .. الحديث (١) .

قال وزعم يعنى هذا القائل الذى قال إن جميع الخلائق يرون الله تعالى يوم القيامة أن قوله عز وجل (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجبون) إنما أراد به عن رؤيته التى هى رؤية كرامة .

قلت : تكون الرؤية الأولى عند فصل القضاء رؤية هيبة وجلال وعظمة والرؤية المختصة بالمؤمنين فى الجنة رؤية لطف وبر ، وكرامة .

جعلنا الله الكريم بفضله من أهلها آمين .

---

(١) هذا الحديث رواه البخارى بلفظ : « كذلك يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول من كان يعبد شيئا فليتبعه . انظر : صحيح البخارى كتاب التوحيد باب : (قول الله تعالى وجوه يومئذ ناضره الى ربها ناظرة) .

فصـــل

في سياق الأخبار النبوية الصحيحة الـدالة على وقوع رؤية المؤمنين لله تبارك وتعالى فى الدار الآخرة المصرحة بذلك وقد رواها جماعة من الصحابة منهم أبو موسى الأشعرى رضى الله عنهم .

ففى الصحيحين عن عبد الله بن قيس هو أبو موسى الأشعرى عن النبى ﷺ قال : « جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما ، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما ، وما بين القوم وبين أن ينظروا الى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه فى جنة عدن » [1] .

قال البخارى حدثنا على بن عبد الله حدثنا عبد العزيز ابن عبد الصمد عن ابى عمران .

وقال مسلم حدثنا نصر بن على الجهضمى ، وأبو غسّان المسمعى واسحق بن ابراهيم جميعا عن عبد العزيز

---

(١) رواه البخارى فى تفسير سورة الرحمن بـاب قوله (ومن دونهما جنتان) وباب (حور مقصورات فى الخيام) وفى التوحيد باب قول الله تعالى (وجوه يومئذ ناضره) .
ورواه مسلم فى كتاب الايمان بـاب (اثبات رؤية المؤمنين فى الآخرة ربهم) حديث رقم ١٨٠ والترمذى فى صفة الجنة باب ماجاء فى صفة غرف الجنة حديث رقم ٢٦٤٨

ابن عبد الصمد واللفظ لأبى غسان قال : حدثنا أبو عبد الصمد حدثنا أبو عمران الجونى عن أبى بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه عن النبى ﷺ فذكره •

وفى كتاب ابى عوانه الاسفراينى المخرج على صحيح مسلم هذا الحديث قال قال رسول الله ﷺ : « جنات الفردوس أربع ثنتان آنيتهما وحليهما ، وما فيهما من ذهب ، وثنتان من فضة آنيتهما وحليهما وما فيهما ، وما بين القوم وبين أن ينظروا الى ربهم عز وجل إلا رداء الكبرياء على وجهه فى جنة عدن ، وفى رواية رداء الكبرياء (١) •

قال الحافظ أبو بكر البيهقى : قوله (رداء الكبرياء) هو ما يتصف به من ارادة احتجاب الأعين عن رؤيته ، فإذا أراد اكرام أوليائه بها رفع ذلك الحجاب عن أعينهم بخلق الرؤية فيها ليروه بلا كيف كما عرفوه بلا كيف (٢)•

وقوله : فى جنات عدن يعنى : والناظر فى جنات عدن •

---

(١) هذا الحديث من رواية ابى بكر بن عبد الله بن قيس عن ابيه عن رسول الله ﷺ وليس فى مسند أبى عوانه (رداء الكبرياء) •
انظر : مسند أبى عوانه جـ١ ص ١٥٧ دار المعرفة بيروت .

(٢) انظر : الاعتقاد والهداية الى سبيل الرشاد لأبى بكر احمد بن الحسين البيهقى ص ١٣٠ •

وروى عن أبى موسى أيضا حديث الرؤية بلفظ آخر أن النبى ﷺ بينما هو يعلمهم شيئا من أمر دينهم إذ شخصت أبصارهم عنه فقال ما أشخص أبصاركم عنى قالوا نظرنا الى القمر ، فقال : « كيف بكم إذا رأيتم الله جهرة » .

ومنهم صهيب بن سنان رضى الله عنه فى صحيح مسلم حدثنا عبيد الله بن عمر بن ميسرة حدثنى عبد الرحمن بن مهدى ، حدثنا حماد بن سلمه عن ثابت البنانى عن عبد الرحمن ابن أبى ليلى عن صـــهيب عن النبى ﷺ قال : « إذا دخل أهل الجنة الجنة قال : يقول الله تبارك وتعالى تريدون شيئا أزيدكم فيقولون ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجينا من النار ؟ قال فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئا أحب اليهم من النظر الى ربهم » .

حدثنا أبو بكر أبى شيبة حدثنا يزيد بن هارون عن حماد بن سلمة بهذا الإسناد وزاد ثم تلا هذه الآية : **« للذين أحسنوا الحسنى وزيادة »** [1] .

قال أبو عيسى الترمذى : وحدثنا محمد بن بشار بندار ، حدثنا عبد الرحمن بن مهدى ، حدثنا حماد بن

---

(١) انظر : صحيح مسلم كتاب الايمان باب (اثبات رؤية المؤمنين فى الآخرة ربهم) حديث رقم ١٨٠

سلمة عن ثابت البُنانى عن عبد الرحمن بن ابى ليلى عن صهيب عن النبى ﷺ فى قوله تعالى « **للذين احسنوا الحسنى وزيادة** » قال إذا دخل أهل الجنة الجنة نادى مناد إن لكم عند الله موعدا يريد أن ينجزكموه ، قالوا ألم يبيض وجوهنا ، وينجنا من النار ، ويدخلنا الجنة ؟ قالوا بلى فيكشف الحجاب قال فوالله ما أعطاهم الله شيئا أحب اليهم من النظر اليه » (١) .

قال الترمذى هذا حديث إنما أسنده حماد بن سلمه ورفعه .

وروى سليمان بن المغيرة هذا الحديث عن ثابت البنانى عن عبد الرحمن بن أبى ليلى قوله ، ولم يذكر فيه عن صهيب عن النبى ﷺ .

وأسنده أبو عوانة فى كتابه عن جماعة عن جماعة قالوا : حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن عبد الرحمن ابن أبى ليلى عن صهيب قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية :

« **للذين أحسنوا الحسنى وزيادة** » قال إذا دخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار نادى مناد يا أهل

---

(١) انظر : سنن الترمذى جـ ٤ ص ٩٢ باب (ما جاء فى رؤية الرب تبارك وتعالى) حديث رقم ٢٦٧٦ .

الجنة ان لكم عند الله موعدا يريد أن ينجزكموه ، قالوا وما هـــذا الموعود ؟ أليس قـــد ثقل موازيننا ، ألم يبيض وجوهنا ، وأدخلنا الجنة ، ونجانا من النار ؟ قال فيرفع الحجاب فينظرون الى وجه الله عز وجل ، فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر اليه ، وفى رواية الى وجهه » (١) .

وقال الحسن بن عرفة (٢) : حدثنا يزيد بن هارون ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن عبد الرحمن ابن أبى ليلى ، عن صهيب قال قال رسول الله ﷺ « إذا دخل أهل الجنة الجنة نودوا أن يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعدا لم تروه فيقولون وما هو ؟ ألم يبيض وجوهنا ، ويزحزحنا عن النار ، ويدخلنا الجنة ؟ قال فيكشف الحجاب تبارك وتعالى ، فينظرون اليه قال فوالله ما أعطاهم الله

---

(١) رواية عفان : (من النظر اليه) ورواية الأســود (الى وجهه) .

انظر : مسند الى عوانه جا ص ١٥٦ دار المعرفة بيروت

(٢) هو الحسن بن عرفة ، بن يزيد العبدى ، البغدادى ، أبو على ، محدث ، صدوق ، سمع اسماعيل ابن عياش وطبقته ، وروى عن عبد الله بن المبارك وغيره ، وروى عنه الترمذى ، وابن ماجه وغيرهما . وتوفى سنة ٢٥٧ هـ

انظر : تقريب التهذيب لابن حجر جا/١٦٨ تحقيق الشيخ عبد الوهاب عبد اللطيف ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحاله ج٣/٢٤٥ وشذرات الذهب لابن العمـــاد ج٢/١٣٦ وتاريخ التراث العربى لفؤاد سزكين المجلد الأول ١/٢٥٩

شيئا هو أحب اليهم منه ، ثم قرأ **«للذين أحسنوا الحسنى وزيـــادة »** •

قال البيهقى : رواه هدبة بن خالد عن حماد بن سلمة بإسناده ومعناه إلا أنه قال قال رسول الله ﷺ : « والذى نفسى بيده ما أعطاهم شيئا هو أحب اليهم ولا أقر لأعينهم من النظر الى وجه الله تبارك وتعالى» •

وفى رواية ابى داود الطيالسى عن حماد بن سلمة قال : فيتجلى لهم فينظرون اليه فيكون ذلك أعظم عندهم مما أعطوه » (١) •

قال البيهقى : والحجاب المذكور فى هــذا الخبر وغيره يرجع الى الخلق ، لأنهم هم المحجبون عنه بحجاب خلقه فيهم •

وروى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال : ان ربك ليتبدى إليك ، وأنت فى الجنة تسرح حيث تشاء فى قصورك ، وخدمك ، وأزواجك ، فلا يعدل رؤيته عندك شىء مما أنت فيه •

وعن هشام بن حسان عن الحسن قال : ان الله عز وجل ليتجلى لأهل الجنة فإذا رأوه نســوا نعيم الجنـــة •

---

(١) انظر : الاعتقاد والهداية الى سبيل الرشاد لأبى بكر احمد بن الحسين البيهقى ص١٢٨ .

ومنهم جرير بن عبد الله رضى الله عنه :

قال البخارى فى الصحيح : حدثنا عمرو بن عون ، حدثنا خالد وهشيم عن اسماعيل عن قيس ابن أبى حازم عن جرير بن عبد الله البجلى قال : كنا جلوسا عند النبى ﷺ إذ نظر الى القمر ليلة البدر فقال « إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامُّون فى رؤيته ، فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس ، وصلاة قبل غروب الشمس فافعلوا » (١) .

حدثنا يوسف بن موسى ، حدثنا عاصم بن يوسف اليربوعى ، حدثنا أبو شهاب يعنى الحنَّاط عن اسماعيل بن أبى خلد عن قيس بن أبى حـــازم ، عن جرير بن عبد الله قال قال النبى ﷺ : « إنكم سترون ربكم جل ثناؤه عيانا » (٢) .

حدثنا عبدة بن عبد الله ، حدثنا حسين الجعفى عن زايدة ، حدثنا بيان بن بشر عن قيس ابن أبى حازم قال حدثنا جرير بن عبد الله قال خرج علينا رسول الله ﷺ

---

(١) رواه البخارى فى كتاب التوحيد باب (قول الله تعالى : وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) .

(٢) رواه البخارى فى كتاب التوحيد باب (قول الله تعالى : وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) .

ليلة البدر فقال : « إنكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون هذا لا تضامون فى رؤيته » (١) .

وقال أبو داود : حدثنا عثمان بن أبى شيبة ، حدثنا جرير ووكيع ، وأبو أسامة عن اسماعيل بن أبى خالد ، عن قيس بن أبى حازم عن جرير بن عبد الله قال كنا مع رسول الله ﷺ جلوسا فنظر الى القمر ليلة البدر أربع عشرة ، فقال : « إنكم سترون ربكم كما ترون هذا لا تضامون فى رؤيته ، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس ، وقبل غروبها فافعلوا ، ثم قرأ هذه الآية « **وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها** » (٢) .

وقال الترمذى : حدثنا هناد ، حدثنا وكيع ، حدثنا اسماعيل بن أبى خالد عن قيس ابن أبى حازم عن جرير بن عبد الله قال كنا جلوسا عند النبى ﷺ فنظر الى القمر ليلة البدر فقال : « إنكم ستعرضون على ربكم فترونه كما ترون هذا القمر لا تضامون فى رؤيته ، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس

---

(١) رواه البخارى : كتاب التوحيد باب قول الله تعالى : وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة .

(٢) انظر : سنن ابى داود جـ ٥ ص ٩٧ باب فى الرؤية حديث رقم ٤٧٢٩ .

وصلاة قبل غروبها فافعلوا ، ثم قرأ « **وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس ، وقبل الغروب** » (١) .

قال أبو عيسى هذا حديث صحيح .

قال أبو بكر بن السمعانى : أما حديث جرير هذا فهو حديث عال كبير متفق على صحته ، وتابع بيان ابن بشر اسماعيل بن أبى خالد فى روايته هذا الحديث عن قيس بن أبى حازم ورواه عن اسماعيل بن أبى خالد من لا يحصى من الأئمة كثرة .

وقال يزيد بن هارون : من كذّب بهذا الحديث فهو برىء من الله عز وجل ، والله عز وجل برىء منه ، وهم والله الذى لا إله إلا هو زنادقة .

وقال بشر بن الوليد : كنت جالسا عند أبى يوسف القاضى ، فدخل عليه بشر المريسى (٢) فقال له أبو يوسف

---

(١) انظر : سنن الترمذى ج ٤ ص ٩٢ باب ما جاء فى رؤية الرب تبارك وتعالى حديث رقم ٢٦٧٥ .

(٢) هو أبو عبد الرحمن بشر بن غياث بن أبى كريمة عبد الرحمن المريس الفقيه الحنفى المتكلم وهو من موالى زيد ابن الخطاب رضى الله عنه أخذ الفقه عن القاضى أبو يوسف الا أنه اشتغل بالكلام ، ورمى بالزندقة ، وهو رأس الطائفة « المريسية » القائلة بالارجاء واليه نسبتها ، جرد القول بخلق القرآن وناظر عليه وكان يقول : ان السجود للشمس

حدثنا اسماعيل بن أبى خالد عن قيس عن جرير عن النبى ﷺ فذكر حديث الرؤية ، ثم قال أبو يوسف : انى والله مؤمن بهذا الحديث وأصحابك ينكرونه ، وكأنى بك قد شغلت على الناس خشبة باب الجسر فاحذر •

قال الحافظ أبو بكر البيهقى : سمعت الشيخ الامام أبا الطيب سهل بن محمد بن سليمان رحمه الله يقول فيما أملاه علينا فى قوله : لا تضامون فى رؤيته • بضم التاء وتشديد الميم يريد : لا تُجمعون لرؤيته فى جهة ، ولا يضم بعضكم الى بعض ، لذلك فإنه عز وجل لا يرى فى جهة كما يرى المخلوق فى جهة •

قال : ومعناه بفتح التاء : لا تضامون برؤيته مثل معناه بضمها أى : لا تضامون فى رؤيته بالاجتماع فى جهة ، وهو دون تشديد الميم من الضم معناه : لا تظلمون

والقمر ليس بكفر ولكنه علامة الكفر ، روى الحديث عن حماد ابن أبى سلمة ، وسفيان بن عيينه وغيرهم ، قال عنه الذهبى فى ميزان الاعتدال : انه مبتدع ضال لا ينبغى أن يروى عنه وقيل كان أبوه يهوديا توفى ببغداد سنة ٢١٨ هـ وقيل سنة ٢١٩ هـ •

انظر : وفيات الأعيان جـ ١ /٢٢٧ ، ٢٢٨ تحقيق د • احسان عباس ، ميزان الاعتدال للذهبى جـ ٣٢٢/١ ، تاريخ التراث العربى المجلد الأول جـ ٦٥/٤ ، الاعلام للزركلى جـ ٢٧/٢ ، ٢٨ •

فيه برؤية بعضكم دون بعض ، وإنكم ترونه فى جهاتكم كلها ، وهو متعالى عن جهة .

قال : والتشبيه برؤية القمر ليقين الرؤية دون تشبيه المرئى تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا (١) .

ومنهم أبو هريرة ، وابو رزين العقيلى رضى الله عنهما قال البخارى :

حدثنا عبد العزيز بن عبد الله ، حدثنا ابراهيم ابن سعد عن ابن شهاب وقال مسلم : حدثنى زهير بن حرب حدثنا يعقوب بن ابراهيم ، حدثنا أبى عن ابن شهاب عن عطاء بن يزيد الليثى أن أبا هريرة أخبره أن ناسا قالوا يا رسول الله ﷺ هل نرى ربنا يوم القيامة ؟

فقال رسول الله ﷺ هل تضارون فى القمر ليلة البدر ؟ قالوا لا يا رسول الله ، قال هل تضارون فى الشمس ليس دونها سحاب ؟ قالوا لا قال : فإنكم ترونه

---

(١) انظر : الاعتقاد والهداية الى سبيل الرشاد لأبى بكر احمد بن الحسين البيهقى ص ١٢٨ .

كذلك ، وذكر تمام الحديث بطوله ، واللفظ لمسلم (١) .

قال وحدثنا عبد الله بن عبد عبد الرحمن الدارمى أخبرنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهرى قال أخبرنى سعيد بن المسيب ، وعطاء بن يزيد الليثى أن أبا هريرة آخبرهما أن الناس قالوا للنبى ﷺ يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ وساق الحديث بمعنى حديث ابراهيم بن سعد (٢) .

قال أبو داود حدثنا اسحق بن اسماعيل ، حدثنا سفين عن سهيل بن أبى الصالح عن أبيه أنه سمعه يحدث عن أبى هريرة قال قال ناس يا رسول الله أنرى ربنا يوم القيامة ؟ قال هل تضارون فى رؤية الشمس فى الظهيرة ليست فى سحابة ؟ قالوا لا ، قال هل تضارون

---

(١) رواه البخارى فى كتاب التوحيد باب (قول الله تعالى : وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) .

ورواه مسلم فى كتاب الايمان باب (معرفة طريق الرؤية) حديث رقم ١٨٢ .

ورواه ابو داود فى السنة باب (فى الرؤية) حديث رقم ٤٧٣٠ .

ورواه الترمذى فى صفة الجنة باب (ما جاء فى رؤية الرب تبارك وتعالى) حديث رقم ٢٥٥٧ .

(٢) انظر : سنن الدارمى جـ ٢ ص ٣٢٦ .

فى رؤيــة القمر ليــلة البــدر ليس فى سحابة ؟ قالوا لا ، قال : « والذى نفسى بيده لا تضارون فى رؤيته إلا كما تضارون فى رؤية أحدهما » (١) .

حدثنا موسى بن اسماعيل حدثنا حماد ح وحدثنا عبيد الله بن معاذ حدثنا أبى حدثنا شعبة المعنى عن يعلى ابن عطاء عن وكيع بن عدس قال موسى ابن حدس عن أبى رزين العقيلى قال قلت يا رسول الله كلنا يرى ربه قال ابن معاذ : مخليا به يوم القيامة وما آية ذلك فى خلقه قال يا أبا رزين أليس كلكم يرى القمر قال ابن معاذ ليلة البدر مخليا به ثم اتفقا قلت بلى قال فالله أعظم ، قال ابن معاذ قال وانما هو خلق من خلق الله ، فالله أجل وأعظم (٢) .

قال أبو اسحق الزجاج الذى جاء فى الحديث مخفف لا تضامون ، ولا تضارون ومعناه لا ينــالكم ضير ، ولا ضيم فى رؤيته ، أى ترونه حتى تستووا فى الرؤية فلا يضيم بعضكم بعضا ، ولا يضير بعضــكم بعضــا .

---

(١) انظر سنن ابى داود جـ ٥ ص ٩٨ ، ٩٩ باب فى الرؤية حديث رقم ٤٧٣٠ .

(٢) المرجع السابق ص ٩٩ حديث رقم ٤٧٣١ .

قال وقال أهل اللغة قولين آخرين قالوا : لا تضارون بتشديد الراء ، ولا تُضامون بتشديد الميم مع ضم التاء فى تضامون ، وتضارون ، وقال بعضهم بفتح التاء مع التشديد فيهما على معنى تتضارون ، وتتضامون، وتفسير هذا : أنه لا يضار بعضكم بعضا ، أى لا يخالف بعضكم بعضا فى ذلك تقول : ضاررت الرجل أُضارة مضارة ، وضرارا إذا خالفته ، ومعنى لا تضامون:لاينضم بعضكم الى بعض فيقول واحد للآخر أرنيه كما يفعلون عند النظر الى الهلال .

وقال أبو عبيد الهروى (١) فى كتاب الغريبين (٢) وروى تضارُون بالتخفيف من الضير والأصل فيه لا تضيِرون والمعنى واحد أى لا يخالف بعضكم بعضا فيكذبه ، ولا تُنازعون . يقال : ضاررته مضارة إذا

---

(١) هو أحمد بن عبد الرحمن الباشانى أبو عبيد الهروى نسبة الى هراه وهى احدى مدن خراسان ، باحث من أهل هراة وهو من العلماء الأكابر ، له كتاب «الغريبين» غريب القرآن وغريب الحديث وهو من الكتب النافعة و « ولاة هراه » .

انظر : بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة للسيوطى ص ١٦١ ووفيات الأعيان ج ٩٥/١ ، ٩٦ .

(٢) قال الزركلى : اخبرنا السيد احمد عبيد بوجود كتاب « الغريبين » فى دمشق .

انظر : الاعلام ج ٢٠٣/١ .

خالفته ، ويقال : ضاره يَضيره ، وأهل العالية يقولون : يضوره ، وقيل : لا تضارون أي لا تضايقون ، والمضارة: المضايقة والضرر : الضيق ، وأضر بى : لزق بى •

قال : وروى لا تضامون فى رؤيته أى : لا ينضم بعضكم الى بعض فى وقت النظر ؛ لإشكاله ، وخفائه كما تفعلون فى الهلال •

قال : وروى لا تضامون بالتخفيف أى : لا ينالكم ضيم فى رؤيته فيراه بعض دون بعض ، بل تستوون فى الرؤية ، قال وقال ابن الأنبارى (١) أى لا يقع لكم فى الرؤية ضيم وهو الذل والصغار ، وهو من الفعل تفعلون ، وأصله تضيمون فألقيت فتحة الياء على الضاد فصارت الياء ألفا لانفتاح ما قبلها •

---

(١) هو عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله ابو البركات النحوى كمال الدين ابن الأنبارى من علماء اللغة والأدب، وتاريخ الرجال قدم بغداد فى صباه ، له مصنفات كثيرة منها : « هداية الذاهب فى معرفة المذاهب » ، و « الداعى الى الاسلام » فى علم الكلام ، و « النور اللائح فى اعتقاد السلف الصالح » ، و « الجمل فى علم الجدل » ، ولد سنة ٥١٣ هـ وتوفى سنة ٥٧٧ هـ .

انظر : وفيات الأعيان لابن خلكان ج ١٣٩/٣ ، وبغية الوعاة للسيوطى ص ٣٠٠ ، وفوات الوفيات والذيل عليها لمحمد بن شاكر الكتبى ج ٢٩٢/٢ ، والاعلام للزركلى ج ١٠٤/٤ .

قال وأما قوله لا تضارون فيجوز أن يكون على معنى : لا تضاررون بعضكم أى لاتخالفونهم ولا تجادلونهم بصحة النظر ، فتسكن الراء الأولى ، وتدغم فى التى بعدها ، ويحذف المفعول ، لبيان معناه ، ويجوز على معنى : لا تضاررون أى : لا تنازعون .

وقال ابن عرفة : أراد : لا تجادلون فتكونوا أحزابا يضرب بعضكم بعضا فى الجدل ، كما يصير القوم أضدادا ، ومن ذلك سميت الضرّة ، لمضادتها للأخرى قال ومعنى قوله : لا تضامّون أى : لا يضمكم شىء دون رؤيته .

قال الهروى : وهذه الأقاويل متقاربة .

وقال أبو سليمان الخطابى (١) قوله : لا تضامّون

---

(١) هو أبو سليمان حمد (كان اسمه قد صحف فى حياته الى أحمد) بن محمد بن ابراهيم البستى الخطابى هو أحد احفاد أخى عمر بن الخطاب ، كان اماما فى الفقه، والحديث ، واللغة ، ومن تصانيفه « معالم السنن » وهو شرح سنن ابى داود و « غريب الحديث » و « شرح الأسماء الحسنى » و « كتاب العزلة » أو « الاعتصام بالعزلة » و « كتاب الغنية عن الكلام وأهله » و « اصلاح غلط المحدثين » و « اعلام السنن » فى شرح البخارى و « كتاب شأن الدعاء المأثور » و « بيان اعجاز القرآن » وتوفى سنة ٣٨٨ هـ .

هو من الانضمام ، يريد أنكم لا تختلفون فى رؤيتـــه حتى تجتمعوا للنظر ، وينضم بعضكم الى بعض فيقول واحد هو ذاك ويقول آخر : ليس بذاك على ما جرت به عادة الناس عند النظر الى الهلال أول ليلة من الشهر، ووزنه : تفاعلون ، وأصله : تتضامون حذفت منه احدى التاءين وقد رواه بعضهم لا تُضامُون بضم التـــاء ، وتخفيف الميم معناه : أنكم لا يلحقكم ضيم ، ولا مشقة فى رؤيته ، وقال فى رواية لا تضارون . هذا والأول سواء فى إدغام أحد الحرفين فى الآخر وفتح التـــاء من أوله ، ووزنه تفاعلون من الضرار ، والضرار أن يتضـــارّ الرجلان عند الاختلاف فى الشيء فيضار هـــذا ذاك ، وذاك هـــذا ، فيقـــال قد وقع الضرار بينهمـــا أى الاختلاف .

قال وقد يخيل الى بعض السامعين أن الكاف فى قوله (كما ترون) كاف التشبيه للمرئى وإنما هو كاف التشبيه للرؤية ، وهو فعل الرائى معناه : ترون ربكم

انظر : وفيات الاعيان جـ ٢/٢١٤ تحقيق د . احسان عباس وطبقات الشافعية للسبكى جـ ٢/٢١٨ والاعـــلام للزركلى جـ ٢/٣٠٤ وتاريخ التراث العربى المجلد الأول جـ ٤٢٧/١ .

رؤية ينزاح معها الشك ، وتنتفى معها الريبة كرؤيتكم القمر ليلة البدر لا ترتابون به ولا تمترون فيه (١) .

ومنهم أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه فى الصحيحين عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبى سعيد الخدرى أن ناسا فى زمن رسول الله ﷺ قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال رسول الله ﷺ نعم هل تضارون فى رؤية الشمس بالظهيرة صحوا ليس معها سحاب ، وهل تضارون فى رؤية القمر ليلة البدر صحوا ليس فيها سحاب قالوا لا يا رسول الله قال : « ما تضارون فى رؤية الله تبارك وتعالى يوم القيامة إلا كما تضارون فى رؤية أحدهما ، إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن لتتبع كل أمة ما كانت تعبد وذكر الحديث بطوله واللفظ لمسلم (٢) .

واخرج البيهقى فى كتاب الاعتقاد هذا الحديث والذى قبله من حديث الليثى عن أبى هريرة بلفظ :

---

(١) انظر : معالم السنن للخطابى شرح سنن ابى داود جـ ٥ ص ٩٨ ، ٩٩ .

(٢) رواه البخارى فى كتاب التوحيد بباب (قول الله تعالى : وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) .

ورواه مسلم فى كتاب الايمان باب (معرفة طريق الرؤية) حديث رقم ١٨٣ .

« هل تضارون فى رؤية الشمس ، هل تمارون فى رؤية القمر فى موضع ، هل تضارون » (١)

وقال : قوله (تمارون) أصله تتمارون ، فاسقطت إحداهما ، وهو من المرية وهى الشك فى الشىء ، والاختلاف فيه . يقول : ترون ربكم يوم القيامة بلا شك ، ولا مرية (٢) وكذلك فسره الامام أبو سليمان الخطابى رحمه الله (٣) .

ومنهم أنس بن مالك ، وعبد الله بن عمر ، وجابر بن عبد الله رضى الله عنهم .

قال البخارى وقال حجاج بن مفهال حدثنا همام بن يحيى ، حدثنا قتادة عن أنس أن النبى ﷺ قال فذكر حديث الشفاعة بطوله وقال فيه : « فيأتون فاستأذن على ربى فى داره ، فيؤذن لى ، فإذا رأيته وقعت ساجدا » قال ذلك ثلاث مرات (٤) .

---

(١) انظر : الاعتقاد والهداية الى سبيل الرشاد لابى بكر احمد بن الحسين البيهقى ص ١٢٩ .

(٢) المرجع السابق نفس الصفحة .

(٣) انظر معالم السن للخطابى شرح سنن ابى داود جـ ٥ ص ٩٨ .

(٤) راوى هذا الحديث هو ابو هريرة رضى الله عنه ولفظ البخارى الذى رواه أبو هريرة « فيأتون محمد ﷺ فيقولون يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء ، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر اشفع لنا الى ربك

وقال الترمذى حدثنا عبد بن حميد ، أخبرنا شبابه عن اسرائيل عن ثوير قال : سمعت ابن عمر يقول : قال رسول الله ﷺ إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر الى جنانه وأزواجه ، ونعيمه ، وخدمه ، وسروره مسيرة ألف سنة ، وأكرمهم على الله من ينظر الى وجهه غدوة وعشيا ، ثم قرأ رسول الله ﷺ « وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة » قال أبو عيسى هذا حديث غريب .

وقد روى هذا الحديث من غير وجه عن اسرائيل عن ثوير عن ابن عمر مرفوعا رواه عبد الملك ابن أبجر عن ثوير عن ابن عمر موقوفا .

وروى عبيد الله الأشجعى عن سفيان عن ثوير عن مجاهد عن ابن عمر قوله ، ولم يرفعه ، قال ولم نعلم أحداً ذكر فيه عن مجاهد غير الثورى (١) .

الا ترى الى ما نحن فيه فأنطلق فآتى تحت العرش فاقع ساجدا لربى عز وجل ، ثم يفتح الله على من محامده ، وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه على أحد قبلى ، ثم يقال يا محمد ارفع رأسك سل تعطه واشفع تشفع » .. الحديث

انظر : صحيح البخارى تفسير سورة الاسراء باب (ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبدا شكورا) ورواه مسلم فى كتاب الايمان باب (معنى قول الله عز وجل ولقد رآه نزلة أخرى) .

(١) انظر : سنن الترمذى جـ ٤ ص ٩٣ باب (ما جاء فى رؤية الرب تبارك وتعالى) حديث رقم ٢٦٧٧ .

واخرج البيهقى فى كتاب البعث والنشور عن ابن المنكدر عن جابر قال قال رسول الله ﷺ : بينما أهل الجنة فى مجلس لهم إذ سطع لهم نور على باب الجنة فرفعوا رءوسهم ، فإذا الرب تعالى قد اشرف » فذكر الحديث ، قال فيكشف لهم الحجاب ، فينظرون الى الله عز وجل فيمتعون بنور الرحمن ، حتى لا يبصر (١) بعضهم بعضا (٢) .

ثم قال البيهقى قد مضى فى هذا الكتاب وفى كتاب الرؤية ما يؤكد هذا الخبر والله أعلم وقال فى كتاب الاعتقاد: ولهذه الأخبار الصحيحة شواهد من حديث على بن أبى طالب وعبد الله بن مسعود ، وعبادة بن الصامت ، وجابر ابن عبد الله الأنصارى ، وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر ، وعدى بن حاتم ، وأبى رزين العقيلى ، وأنس بن مالك ، وبريده ابن حصيب ، وغيرهم رضى الله عنهم عن النبى ﷺ (٣) .

---

(١) الذى ذكره البيهقى فى كتابه « البعث والنشور » لا ينظر .

(٢) انظر كتاب « البعث والنشور » لاحمد بن الحسين البيهقى مخطوط بعمادة شئون المكتبات بجامعة الامام محمد ابن سعود الاسلامية تحت رقم ١٤/٣٩٠٩ .

(٣) انظر : الاعتقاد والهداية الى سبيل الرشاد لأبى بكر أحمد بن الحسين البيهقى ص ١٣٠ .

قال : وروينا فى إثبات الرؤية عن أبى بكر الصديق، وحذيفة بن اليمان ، وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس ، وأبى موسى ، وغيرهم ، ولم يرو عن أحد منهم نفيها ، ولو كانوا فيها مختلفين لنقل اختلافهم إلينـــا ، كما أنهم لما اختلفوا فى الحلال والحرام والشرائع والاحكام نقل اختلافهم فى ذلك إلينا ، وكما أنهم لما اختلفوا فى رؤية الله بالأبصار فى الدنيا نقل اختلافهم فى ذلـــك إلينا ، فلما نقلت رؤية الله بالأبصار فى الآخرة عنهم ولم ينقل عنهم فى ذلك اختلاف كما نقل عنهم فيهـــا اختلاف فى الدنيا علمنا أنهم كانوا على القول برؤية الله بالأبصار فى الآخرة متفقين مجمعين وبالله التوفيق •

وقال أبو بكر بن السمعانى فى ثانى مجالس أمالية : اعلم أن حديث الرؤية رواه عن النبى ﷺ جماعة من الصحابة منهم : أبو بكر ، وعلى ، وعمار ، وزيد بن ثابت ، وحذيفة ، وأبى بن كعب ، وجرير ، وابن مسعود، وأبو هريرة ، وأبو سعيد ، وصهيب وابن عباس ، وابن عمر ، وأبو موسى ، وأبو رزين العقيلى ، وأنس ، وكعب بن عجرة ، وجابر ، وفضالة بن عبيد ، وأبو برزة الأسلمى وغيرهم رضى الله عنهم •

أنبأنا من أنبىء عن الحافظ البيهقى رحمه الله قال أخبرنا أبو عبد الرحمن السلمى ، أخبرنا عن ابن

عمر الحافظ — هو الدار قطنى — قال : ذكر اسحاق الطحان المصرى قال حدثنا سعيد بن أسد قال قلت للشافعي ما تقول فى حديث الرؤية فقال لى يا ابن أسد اقض علىّ حييت أو مت أن كل حديث يصح عن رسول الله ﷺ فإنى أقول به وإن لم يبلغنى .

واخرج البيهقى فى كتاب الدعوات وغيره من حديث عطاء بن السايب عن أبيه عن عمار بن ياسر دعوات سمعهن من النبى ﷺ : وأسألك الرضا بعد القضاء ، وبرد العيش بعد الموت ، وأسالك لذة النظر الى وجهك ، وأسألك الشوق الى لقائك فى غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة .

والنبى ﷺ لا يسأل شيئا مستحيلا على الله تعالى، ولم يسأل الرؤية فى الدنيا ، فإنه قد علم أن موسى سألها فمنع منها لم يبق إلا أن يكون سألها فى الآخرة لوقوعها فيها فهو كقوله ﷺ : أسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل .

وقال إمام الحرمين روى حديث الرؤية عن النبى ﷺ قريب من ثلاثين رجلا من كبار الصحابة والطرق اليهم صحيحة ، قال وأقوى متمسك لأصحابنا فى جواز رؤية الله تعالى اختلاف الصحابة فى أن النبى ﷺ هل رأى ربه ليلة المعراج ، واختلافهم فى الوقوع دليل على

إتفاقهم على الجواز فإن ما يستحيل كونه لا يتصور الاختلاف فى وقوعه .

وقال محمد بن سليمان لوين (١) قيل لسفيان بن عيينه هذه الأحاديث التى تُروى فى الرؤية فقال حق على ما سمعناها ممن نثق به .

وقال الوليد بن مسلم (٢) سألت الأوزاعى ، ومالك

---

(١) هو محمد بن سليمان بن حبيب بن جبير الأسدى البغدادى ثم المقيصى أبو جعفر المعروف بلوين روى عن حماد بن زيد ، وشريك ، وحديج بن معاوية ، وسمع مالك ، وسفيان بن عيينه وعبد الملك بن المبارك ، وروى عنه ابو داود ، والنسائى وغيرهما ، وكان محدثا صدوقا ثقة ولد ما بين سنة ١٣٠ هـ و ١٤٠ هـ وتوفى بأدنه سنة ٢٤٦ هـ وقيل سنة ٢٤٠ هـ .

انظر : شذرات الذهب لابن العماد جـ ١١٢/٢ والجرح والتعديل للرازى جـ ٢٦٨/٧ وتاريخ التراث العربى المجلد الأول جـ ٢١٣/١ وتاريخ بغداد جـ ٢٩٢/٥ .

(٢) هو الوليد بن مسلم الأموى بالولاء ، الدمشقى ، ابو العباس ، عالم الشام فى عصره ، من حفاظ الحديث ، سمع يحيى بن الحارث الذمارى وقرأ عليه ، وثور بن يزيد ، وابن عجلان ، وهشام ابن حسان ، وابن جريج وغيرهم ، وحدث عن أحمد بن حنبل ، واسحاق ، وابن المدينى وغيرهم قال أحمد : ما رأيت فى الشاميين أعقل منه .

له سبعون تصنيفا فى الحديث والتاريخ منها : « السنن » و « المغازى » ولد سنة ١١٩ هـ وتوفى سنة ١٩٥ هـ .

انظر : تذكرة الحفاظ للذهبى جـ ٣٠٢/١ وميزان الاعتدال للذهبى جـ ٣٤٧/٤ والاعلام للزركلى جـ ١٤٣/٩ .

بن أنس ، وسفيان الثورى ، والليث ابن سعد عن هذه الأحاديث التى فيها الرؤية وغير ذلك فقالوا أمضوها بلا كيف •

ثم قال أبو بكر بن السمعانى فى الحديث دلالة واضحة على أن جميع المؤمنين يرون ربهم عز وجل بأبصارهم فى الجنة ، لأن دفع المضامة ، ورفع الضيم إنما يكون باستواء الجميع فى الرؤية وفيه دلالة على أن الرؤية بالعين خلاف قول المعتزلة أن معناه المعرفة بالقلب ، لأن خوف المضامة إنما يكون عند الرؤية بالعين دون المعرفة بالقلب ، والزيادة الواردة فى رواية أبى شهاب الحناط قاطعة لكل تأويل يعنى قوله عيانا وهى فى صحيح البخارى (١) قال وأما قوله ﷺ (كما تنظرون الى القمر ليلة البدر) فيحتمل معنيين أحدهما أنه لا يقع لهم شك ، ولا تخالجهم ريبة فى رؤيته كما لا يقع لهم فى الدنيا فى رؤية القمر ليلة البدر ريبة ، ودل على هذا المعنى قوله (هل تمارون فى القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب) •

والمعنى الثانى أنه أراد به استواءهم فى النظر

---

(١) انظر : صحيح البخارى كتاب التوحيد باب (قول الله تعالى : وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) •

إليه ، ونيل جميعهم كرامة الرؤية من غير تعب ، ونصب كما يستوى جميع الناس فى النظر الى القمر ليلة البدر ، وينال رؤيته كل أحد من غير مشقة ، قال ورد المعتزلة هذا الحديث ، وقالوا انه تشبيه الله بالقمر ، وذلك لا يجوز على الله تعالى ، وسموا أهل السنة مشبهة بروايتهم وقبولهم له ، ولما يشاكله من الأحاديث.

وذلك خذلان من الله تعالى أدركهم فسد عن سواء الحق مسلكهم ، وكثيرا ما يرمون أهل السنة بالأباطيل، وهى أليق بهم ، وهم أولى منهم بكل فضيحة ، وسمة قبيحة ، وليس فى الحديث تشبيه الخالق بالخلق ، ولا المرئى بالمرئى (١) وإنما فيه تشبيه النظر بالنظر والرؤية بالرؤية على ما بينا والله أعلم (٢) .

---

(١) المقصود بالمرئى الأول : الله عزّ وجل ، والمقصود بالمرئى الثانى : القمر ليلة البدر .

(٢) أى ليس فى الحديث تشبيه لله جل وعلا بالقمر وانما المراد تشبيه النظر بالنظر والرؤية بالرؤية .

فصـــل

للخصوم على هذه الأخبار اعتراضات سنذكرها، ونجيب عنها ان شاء الله تعالى من ذلك ،

أنهم حاولوا الطعن فى اسناد حديث جرير بن عبد الله المقدم ذكره .

ذكر الحافظ أبو بكر الخطيب فى ترجمة على بن عبد الله المدينى (١) من تاريخ بغداد عن الحسين ابن الفهم (٢) قال حـدثنى أبى قال قـال ابن أبى دؤاد

---

(١) هو على بن عبد الله بن جعفر بن نجيح بن بكر ابن سعد ، أبو الحسن السـعدى مولاهم ويعرف بابن المدينى ، بصرى الدار ، وهو أحد أئمة الحديث فى عصره ، والمقدم على حفاظ وقته .

له نحو مائتى مصنف ومن كتبه : « الأسامى والكنى » ثمانية أجزاء و « الطبقات » عشرة أجزاء و « قبائل العرب » عشرة أجزاء و « التاريخ » عشرة أجـزاء و « اختـلاف الحديث » خمسة أجزاء و « مذاهب المحدثين » جزآن .

ولد بالبصرة سنة ١٦١ هـ وتوفى بسـامراء سـنة ٢٣٤ هـ .

انظر : تاريخ بغداد جـ ٤٥٨/١١ ، والاعلام جـ ١١٨/٥، وتذكرة الحفـاظ للذهبى جـ ٤٢٨/٢ ، وتهـذيب التهذيب لابن حجر جـ ٣٤٩/٧ وتاريخ التراث العربى المجلد الأول جـ ٢٠٤/١ .

(٢) فى تاريخ بغداد (الحسين بن فهم) .
انظر : جـ ٤٦٦/١١ .

للمعتصم يا أمير المؤمنين هذا يزعم يعنى : احمد بن حنبل أن الله يرى فى الآخرة ، والعيون لا تقع إلا على محدود، والله لا يحد ، فقال له المعتصم ما عندك فى هذا فقال يا أمير المؤمنين عندى ما قاله رسول الله ﷺ قال وما قال عليه السلام قال حدثنى محمد بن جعفر غندر حدثنا شعبة عن اسماعيل بن أبى خالد عن قيس بن أبى حازم عن جرير بن عبد الله البجلى قال كنا مع النبى ﷺ فى ليلة أربع عشرة من الشهر ، فنظر الى البـــدر فقال أما أنكم سترون ربكم كما ترون هذا البدر لا تضامون فى رؤيته ، فقال لأحمد بن أبى دؤاد ما عندك في هذا ؟ قال أنظر في إسناد هذا الحديث ، وكان هذا فى أول يوم، ثم انصرف فوجه ابن ابى دؤاد الى على بن المدينى وهو ببغداد مملق لا يقدر على درهم ، فأحضره فما كلمه بشيء حتى وصله بعشرة آلاف درهم ، وقال له هذه وصلك بها أمير المؤمنين ، وأمر أن يدفع إليـــه جميع ما استحق من أرزاقه ، وكان له رزق سنتين ، ثم قال له يا أبا الحسن حديث جرير بن عبد الله فى الرؤية ما هو قال صحيح ، قال فهل عندك فيه شيء ؟ قال يعفينى القاضى من هذا قال يا أبا الحسن هذه حاجة الدهر ، ثم أمر له بثياب وطيب ومركب بسرجه وكمامة(١)،

---

(١) فى تاريخ بغداد (ولجامه) .
انظر : المرجع السابق نفس الصفحة .

ولم يزل حتى قال له فى هذا الإسناد من لا يعتمد عليه، ولا على ما يرويه وهو قيس بن أبى حازم إنما كان أعرابيا بوالا على عقبيه ، فاتبل ابن أبى دؤاد ابن المدينى، واعتنقه ، فلما كان الغد وحضروا قال ابن أبى دؤاد يا أمير المؤمنين يحتج فى الرؤية بحديث جرير وانما رواه قيس بن أبى حازم ، وإنما هو أعرابى بوال على عقبيه فقال احمد بن حنبل بعد ذلك فحين أطلع لى هذا علمت أنه من عمل على بن المدينى فكان هذا ، وأشباهه من أوكد الأمر فى ضربه (١) .

قال الخطيب : هذا باطل ، وقد نزه الله على بن المدينى عن قول ذلك ، لأن أهل الأثر وفيهم على مجموعون على الاحتجاج برواية قيس بن أبى حازم ، وتصحيحها، إذ كان من كبراء تابعى أهل الكوفة ، وليس فى التابعين من أدرك العشرة المقدمين ، وروى عنهم غير قيس مع روايته عن خلق من الصحابة سوى العشرة ، ولم يحك أحد ممن ساق محنة أبى عبد الله احمد بن حنبل أنه نوظر فى حديث الرؤية ، فإن كان هذا الخبر المحكى عن ابن فهم محفوظا فأحسب أن ابن أبى دؤاد تكلم فى

---

(١) انظر : تاريخ بغداد لاحمد بن على الخطيب البغدادى جـ ١١ ص ٤٦٦ .

قيس بن أبى حازم بما ذكر فى الخبر ، وعزا ذلك الى على بن المدينى والله أعلم (١) .

وقال أبو داود سليمان بن الأشعث أجود التابعين اسنادا قيس بن أبى حازم ، روى عن تسعة من العشرة، لم يرو عن عبد الرحمن بن عوف .

وقال الشريف الرضى فى كتاب المجاز : هذا الخبر مطعون فى سنده ، ولو صح نقله ، وسلم أصله لكان مجازا كغيره من المجازات التى يحتاج فيهـا الى أن تحمل على التأويلات الموافقة للعقل .

وبعد هذا فهذا الخبر من أخبار الآحاد فيما من شأنه أن يكون معلوما فغير جائز قبوله .

قلت : وجواب هذا بأن نقول : لم يثبت الطعن فى سنده ، لما ذكرناه ، ولما سيأتى ولا يصار الى المجاز إلا إذا تعذر حمل الكلام على حقيقته ، ولم يتعذر ذلك فبقينا على الظاهر .

قوله : إنه من أخبار الآحاد قلنا هو كذلك إلا أنه

---

(١) انظر : المرجع السابق نفس الصفحة .

مستفيض (١) لتعدد رواته عن النبى ﷺ من الصحابة فمن بعدهم رضى الله عنهم ، وذلك كاف فى إثبات النظر والرؤية التى وقع النزاع فيها ، وليس ذلك ملتحقا بما من شأنه أن يكون معلوما ، بل تكفى غلبة الظن فيه بخبر الصادق ، وهو كسائر ما وردت الأخبار به من نعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار فإنا نؤمن به كله ، وإن كان منه المعلوم ، ومنه المظنون .

ثم قال الرضى : ومما علقته عن قاضى القضاة أبى الحسن عبد الجبار بن أحمد عند بلوغى فى القراءة عليه الى الكلام فى الرؤية أن من شرط قبول خبر الواحد أن يكود راوية عدلا وراوى هذا الخبر قيس بن أبى حازم ، وكان منحرفا عن أمير المؤمنين على عليه السلام ويقال انه كان من الخوارج ، وذلك يقدح فى عدالته، ويوجب تهمته فى روايته ، وأيضا فقد كان رمى فى عقله قبل موته ، وكان مع ذلك يكثر الرواية ، فلا يعلم

---

(١) الحديث المستفيض هو المشهور الذى تزيد نقلته عن ثلاثة ، وسمى جماعة من الفقهاء الحديث المشهور بالمستفيض ، لانتشاره من فاض الماء يفيض فيضا .

انظر : تدريب الراوى فى شرح النواوى لجلال الدين عبد الرحمن بن ابى بكر السيوطى جـ ٢ ص ١٧٣ تحقيق الشيخ عبد الوهاب عبد اللطيف .

روى هذا الخبر فى الحال التى كان فيها سالم التمييز، أو فى الحال التى كان فيها فاسد العقل ، وكل ذلك يمنع من قبول خبره ، ويوجب اطراح روايته .

وجواب هذا أن نقول : المرجع فى تعديل الرواة وتجريحهم الى العلماء الحفاظ من أهل هذا الشأن ، وقد رأينا الأكابر منهم كالبخارى ومسلم وأبى داود ، والترمذى أدخلوا حديثه وروايته فى كتبهم ، وأثنوا عليه فى كلامهم ، وبهذا نتبين أن الحكاية السابقة عن الحسين ابن فهم عن أبيه لا أصل لها ، وما نسبوه الى على بن المدينى باطل ، فإن تدوين هذه الكتب كان بعد ذلك ، فدل على أنه لم يجر ما حكوه ، أو إن جرى فكان بهتانا وزورا ، ومنكرا من القول ، فلهذا لم تلتفت الأئمة عليه (١) ، وأخرجوا حديث قيس فى كتبهم الصحيحة وقال سفيان بن عيينه ما كان بالكوفة أروى عن أصحاب رسول الله ﷺ من قيس بن ابى حازم .

وقال يحيى بن معين : قيس بن أبى حازم أوثق من الزهرى (٢) .

---

(١) اراد بكلمة تلتفت معنى : تعول ولهذا عدى الفعل بحرف الجر وهو على فقال : تلتفت الأئمة عليه .

(٢) انظر : ميزان الاعتدال فى نقد الرجال للذهبى ج ٣ ص ٣٩٢ .

وقال ابن حراش : هو كوفى جليل •

وقال يعقوب بن شيبه : هو متقن الرواية •

وقال قوم : كان يحمل على على ، والمشهور عنه أنه يقدم عثمان (١) •

قلت : فلهذا قال من قال إنه كان منحرفا عن على، وليست هذه العبارة بجيدة ، وما ذهب اليه من تقـديم عثمان على على رضى الله عنهما هو المذهب الصحيح الذى استقرت عليه مذاهب أهل السنة •

وقال قوم له أحاديث مناكير (٢) قلت : فإن صح هذا ، فليس حديث الرؤية منها ، لأنه مدون فى الصحاح، ولأن المتابعين له على رواية أحاديث الرؤية فيهم كثرة قال يعقوب ومنهم من قال إنه مع شهرته لم يرو عنه كبير أحد قال وليس الأمر كما قال هؤلاء ، قد روى عنه جماعة منهم اسماعيل بن أبى خالد ، وهو أرواهم عنه، وكان ثقة ثبتا ، وبيان ابن بشر وكان ثقة ثبتا ، والحكم، وأبو اسحاق ، والأعمش ، وذكر غيرهم (٣) •

---

(١) المرجع السابق ص ٣٩٢ •
(٢) المرجع السابق ص ٣٩٢ ، ٣٩٣ •
(٣) المرجع السابق ص ٣٩٣ •

وأما قوله من قال إنه من الخوارج فليس بصحيح، ولو صح لكان ذلك غير مانع من قبول خبره فله حكم عكرمة مولى ابن عباس ، وأشباهه من الأكابر الذين قبل حديثهم مع نسبتهم الى أنهم على رأى الخوارج ، وهذا عمران بن حطان من رءوس الخوارج وحديثه مقبول مخرج فى الصحيح للبخارى وغيره .

وقال أبو داود سليمان بن الأشعث : ليس فى أهل الأهواء أصح حديثا من الخوارج ، ثم ذكر عمران ابن حطان ، وأبا حسان الأعرج (١) .

وقال قتادة كان عمران بن حطـــان لا يتهم فى الحديث (٢) .

وقال احمد بن عبد الله العجلى هو بصرى تابعى ثقـــة .

وقول عبد الجبار فيما حكاه الرضى عنه أن قيس بن أبى حازم رمى فى عقله قبل موته ليس بصحيح فإنى لم أر أحدا من الحفاظ المرجوع اليهم فى الجرح

---

(١) انظر : ميزان الاعتدال فى نقد الرجال للذهبى جـ ٣ ص ٢٣٦ .

(٢) المرجع السابق نفس الصفحة .

والتعديل نسب إليه ذلك (١) • وعبد الجبار لم يكن فى عصر قيس ولا ذكر لنا من روى له ذلك ، فكان هـذا الحكم غير مقبول منه ، ثم لو كان هذا صحيحا لم يكن نافعا له ، فإن الرواية قد رواها جماعة غيره فدل صحة ذلك على أنه ما رواها الا فى حال سلامته ، لأنه روى شيئا صحيحا ثابتا من رواية غيره ، وفى حديث غـيره غنية عن حديثه ، ولا مطعن لهم فى حديثهم •

ثم قال الرضى : ومن شرط قبول خبر الواحد أن يعرى من نكير السلف ، وقد نقل نكير جماعة من السلف على راوى هذا الخبر منهم العرباض بن سارية روى عنه أنه قال : من قال إن محمدا رأى ربه فقد كذب •

قلت : ما كان أغنى الرضى عن هـذا الـكلام ، فالعرباض إنما أنكر رؤية الله تعالى فى الدنيا ، وإنما كلامنا فى رؤيته فى الدار الآخرة ، وان قاس فرقنا بأن الله تعالى منع الأبصار من رؤيته فى الدنيا ، لأنهـا أبصار فانية ، وأباح النظر فى الآخرة لمن شاء من خلقه،

---

(١) قال الذهبى : اجمعوا على الاحتجاج به ، ومن تكلم فيه فقد آذى نفسه نسأل الله العافية وترك الهوى ، فقد قال معاوية بن صالح عن ابن معين : كان قيس أوثق من الزهرى •

انظر : ميزان الاعتدال فى نقد الرجال ج ٣ ص ٣٩٣.

لأنهم يرونه بأبصار باقية ، وهذا فرق واضح حسن مع أنه لا حاجة إليه ، فإن الله تعالى يفعل ما يشاء ولو شاء أن يؤتى ذلك من شاء من خلقه فى الدنيا لفعل سبحانه ، وهذا كما أنه أعد لأوليائه وأهل طاعته الجنة فى الدار الآخرة ، ولو شاء أن يعجلها لهم فى الدنيا ، ويجمعها لهم فى الدنيا والآخرة لفعل ، وكذا العـذاب لأهـل معصيته فهذا هو الحق .

واعتمادنا على ما وردت به الشريعة فنحن نؤمن بما أخبر به الصادق ، ونجريه على ظاهره مما لم يمنع منه مانع ، ولا نؤول إلا ما استحال اجراؤه على ظاهره، أو دلت القرينة على إرادة المجازية والله أعلم .

ثم قال الرضى : محال أنا نراه كما نرى القمر الذى فى جهة مخصوصة ، فى صفة معلومة ، وإذا كان الأمر على ما قلنا لم يكن للخبر ظاهر ، واحتجنا الى تأويله فنقول : فى الكلام إسقاط مضـاف أى ترون أشراط يوم المعاد ، وما وعد الله به ، وأوعد من الثواب والعقاب ، كما ترون القمر ليلة البدر يزيد فى البيان والظهور ، والأضحاء للعيون .

قلت : بل للخبر ظاهر ، وهو الرؤية لله تعالى كما سبق ، وما ذكره من المانع فقد سبق الجواب عنه وهو أن التشـبيه برؤية القمر ليقين الرؤية دون تشـبيه

المرئى ، فلا حاجة الى ما تقدره من حذف المضاف ، كيف وأن ألفاظ الأخبار المذكورة على اختلاف ألفاظها يشهد بعضها لبعض أن المعنى ليس على ما ذكره ، ومن تأمل وأنصف ظهر له ذلك وعرف •

ثم قال الرضى : لو كان هذا الخبر صحيح الأصل لكان عندنا محمولا على العلم ، لأن إطلاق لفظ الرؤية بمعنى العلم فى الكلام مشهور •

قلت : الأخبار المتقدمة بعضها جاء بلفظ الرؤية ، وبعضها بلفظ النظر ، وذلك تفسير للرؤية أنها من رؤية العين دون العلم ، والأخبار كما ذكرنا يفسر بعضـــها بعضا ، ولكن الرضى رحمنا الله وإياه لما لم يذكر إلا هذا الخبر الواحد الذى هو من رواية قيس عن جرير تحيل فى دفعه ، وتأويله بكل ممكن نصرة لمذهبه ، واعتقاده ، ولو وقف على ســـائر الألفاظ فى الأخبار التى ذكرناها لظهر له من مجموعها ما ظهر لنا ان شاء الله وله الحمد•

وهذا التأويل الذى ذكره الرضى من حمل الرؤية فى الحديث على العلم قد اقترحه المعتزلة قديما وأجاب بعض أصحابنا عنه : بأن النبى ﷺ أخرج هذا الكلام مخرج البشارة لأصحابه ، ولا يجوز أن يبشرهم بمعنى كان حاصلا لهم فى الدنيا ، وهو العلم بالله سبحانه •

وأجاب الرضى عن هذا بأن قال : العلم بالله سبحانه فى الدنيا علم استدلال تعترضه الشكوك وتعتوره الشبه والظنون ، ويحتاج العالم فى حل عقود تلك الشبه الى كلف ومشاق تتعب الخواطر وتعيى الناظر ، فبشرهم عليه السلام بأن ذلك يزول فى الآخرة، فيكون علمهم بالله سبحانه اضطرارا غير مشوب بكلفة، ولا معقود بمشقة ، وهكذا كقول القائل منا إذا أراد أن يخبر عن شدة تحققه للشىء أنا أعلم هذا الأمر كما أرى هذه الشمس .

وقوله من بعد لا تضامون فى رؤيته أى : لا شبهة فيه ولا شك يعتد به .

ثم قال : والصحيح أن يكون الضمير فى رؤيته راجعا إلى القمر ، قال ويجوز أن يكون راجعا إلى الله تعالى أى : لا تُضارون فى علمه .

قلت : الصحيح أن الضمير عائد الى الله تعالى لا الى القمر خلافا لما اختاره الرضى ، بدليل ما فى الصحيحين من حديث أبى سعيد الخدرى السابق : « ما تُضارون فى رؤية الله تبارك وتعالى الا كما تضارون فى رؤية أحدهما » ، ولأن المهم إعلام النبى ﷺ إيانا بنفى المضارة فى رؤية الله عز وجل التى بشرنا بها

ووعدناها لا فى رؤية الشمس والقمر ، فإن ذلك معلوم ولأن نفى المضارة فى العلم لا فائدة فيـــه ، فإن من المعلوم أن العلوم لا تتزاحم ، فعلم زيد لا يزحم علم عمرو ، فلم يكن الى ذكر ذلك حاجة ، وإنما الحاجـــة ماســـة الى نفى المُضـــارة عن رؤية الأبصـــار ؛ لأن الأشخاص هى التى تزدحم عند رؤية ما تشتهى رؤيته على ما هو المعروف فى المحسوسات والله أعلم .

فصـــل

فى ذكر ما احتج به النافون لرؤية الله تعالى من الأدلة السمعية والعقلية والجواب عنها وقد تمســكوا فى نصرة قولهم بوجوه من الأدلة :

الدليل (١) الأول قوله تعالى : « لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار » (٢) •

قالوا : هذا نص صريح فى نفى تعلق الإدراكات بالله تعالى •

قال الزمخشرى : البصر هو الجوهر اللطيف الذى ركبه الله تعالى فى حاسة النظر • به تُدرَك المبصَرات »•

فالمعنى : ن الأبصار لا تتعلق به ، ولا تدركه ، لأنه متعالٍ أن يكون مبصَراً فى ذاته ؛ لأن الأبصـــار إنما تتعلق بما كان فى جهة أصلا ، أو تابعا كالأجسام، والهيئات (وهو يدرك الأبصار) • أى : وهو للطف

---

(١) كلمة [الدليل] من وضع المحقق حتى يتضح عرض الأدلة التى احتج بها النافون للرؤية ، ولا تلتبس بالوجوه التى ساقها المؤلف ــ رحمه الله ــ للاجابة عليهم.

(٢) سورة الانعام : ١٠٣ .

إدراكه للمدركات يدرك تلك الجواهر اللطيفـة التى لا يدركها المدرك (١) •

قلتُ : وجواب هذا من وجوه :

الأول : أنه نفى لعموم الأبصـار أن تدركه أى تـراه ، وهـو كذلك ، وبه نقول ؛ فإنما يـراه بعض الأبصار ، وهى أبصار المؤمنين ، ويحجب عنه أبصار الكافرين ، وهذا كما إذا قيل (مكان السلطان لا يصل إليه كل الناس) لم يكن هذا اللفظ بمانع من وصـول بعضهم إليه •

الثانى : أنه محمول على نفى الادراك فى الدنيا دون الآخرة جمعا بين الأدلة ، ولهذا قال سبحانه « وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة » (٢) فخصص ذلك بيوم القيامة فيكون نفى الإدراك مخصوصا بالدنيا •

وفى تفسير الثعلبى قال ابن عباس ، ومقاتل معناه : لا تدركه الأبصار فى الدنيا ، وهو يرى فى الآخرة (٣)•

---

(١) انظر الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل للزمخشرى ج ٢ ص ٤١ .

(٢) سورة القيامة : ٢٢ ، ٢٣ .

(٣) رجعت الى تفسير الثعلبى المسمى « الكشـف والبيان فى تفسير القرآن » وهو مخطوط بمكتبة الأزهر تحت رقم ٢٠٥٦ فوجدت سورة الانعام قد سقطت منه .

قلتُ : وسر ذلك ما ذكره شيخنا أبو الحسن فى تفسيره (١) قال هذا الامتناع مخصوص بالدار الأولى لأن أهلها لا يستطيعون رؤيته عز وجل (فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا) وأما فى الآخرة فإنهم يكونون على غير ما هم عليه فى الدنيا .

وقال امام الحرمين فى كتاب الشامل (٢) فى قوله تعالى « لا تدركه الأبصار »هذه آية مطلقة مترددة بين آيتين مقيدتين فى النفى والإثبات ، فالتى فى الإثبات قوله تعالى « وجوه يومئذ ناضرة » والتى فى النفى قوله تعالى فى الكفرة « كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون » والمطلق محمول على المقيد فى الحكم

---

(١) « تفسير القرآن والرد على من خالف البيان من أهل الافك والبهتان » واسمه الحقيقى « المختزن » ويقال : أنه كان كتابا شاملا جامعا ألفه ابو الحسن الاشعرى فى الرد على الجبائى والبلخى ولقد بقيت منه المقدمة فقط .

انظر : تاريخ التراث العربى لفؤاد سزكين المجلد الأول جـ ٤ ص ٣٩ نشر ادارة الثقافة والنشر بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية .

(٢) ذكر ذلك أمام الحرمين فى كتابه « الارشاد الى قواطع الأدلة فى اصول الاعتقاد » ص ١٨١ — ١٨٣ ولم يذكره فى كتابه « الشامل » ولعل هذا خطأ من الناسخ .

الواحد ، فتعين حمل المطلق فى النفى على المقيد (١) .

الثالث : أن الإدراك يدل على الرؤية ، فإنه إبصار الشىء مع إبصار جوانبه وأطرافه وهـذا فى حق الله تعالى محال أى لا تحيط بحقيقته ، ونفى الإبصـار الخاص لا يوجب نفى أصل الإبصار .

قال الحافظ البيهقى قال بعض أصحابنا انما نفى عنه الإدراك دون الرؤية ،والإدراك هو الاحاطة بالمرئى دون الرؤية ، فالله يُرى ، ولا يدرك ، كما يُعلم ولا يحاط به علما (٢) .

قال امام الحرمين : ذهب كثير من أئمتنا الى آن الله تعالى يُرى ولا يُدرك ؛ إذ الإدراك يُنبىء عن اللحوق

---

(١) يقول الجوينى : هذه الآية [لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار] مطلقة غير مختصة بالأوقات وهى عامة فيها ، والآية التى استدللنا بها وهى [وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة] تنص على اثبات الرؤية فى أوقات معلومة ، فيتجه فى طريق التأويل حمل المطلق على المقيد ، فيحمل نفى الادراك على أيام الدنيا .

انظر : « الارشاد » ص ١٨٣ تحقيق الدكتور محمد يوسف موسى ، وعلى عبد المنعم عبد الحميد .

(٢) انظر : الاعتقاد والهداية الى سبيل الرشـاد للحافظ احمد البيهقى ص ١٢٢ .

والإحاطة والتحديد ، فإن سلكنا هذا المسلك كنا قائلين بموجب الآية مسقطين عن أنفسنا مؤنة الخصوم (١).

قال أحمد بن محمد الثعلبى فى تفسيره (لا تدركه الأبصار) أجراه بعضهم على العموم فقال معناه : لا تحيط به الأبصار ، بل تراه ولا تحيط به كما تعرفه فى الدنيا ولا تحيط به . قال الله تعالى : « ولا يحيطون به علما » (٢) قال : فكما نعرفه فى الدنيا لا كالمعروفين، كذلك نراه فى العقبى لا كالمرئيين ، قالوا وقد يرى الشئ الشىء ولا يدركه كما أخبر الله تعالى عن قول أصحاب موسى له حين قرب منهم قوم فرعون (إنا لمدركون) وكان قوم فرعون قد رأوا قوم موسى ، ولم يدركوهم ؛ لأن الله تعالى قد كان وعد نبيه موسى عليه السلام أنهم لا يدركون بقوله : « لا تخاف دركا ولا تخشى » (٣) ولذلك قال سعيد بن المسيب : لا تحيط به الأبصار ، وقال عطاء : كلت أبصار المخلوقين عن الاحاطة به (٤) .

---

(١) انظر : كتاب الارشاد الى قواطع الأدلة فى أصول الاعتقاد للجوينى ص ١٨٢ .

(٢) سورة طه : ١١٠ .

(٣) سورة طه : ٧٧ .

(٤) رجعت الى مخطوطة « الكشف والبيان فى تفسير القرآن » لأحمد بن محمد الثعلبى وهى موجودة بمكتبة الأزهر تحت رقم ٢٠٥٦ فلم أعثر فى ثناياها على تفسير سورة « الأنعام » .

وقال ابو بكر محمد بن الحســن بن فورك (١) الإدراك بمعنى اللحوق من قولهم : أدرك قتادة الحسن، وأدرك الطعام أى لحق حال النضج ، وأدركت الثمرة إذا طابت ، وأدرك الغلام لحق حال الرجال ، وأدرك البصر رؤيته قال وقد قال قائلون من أصحابنا : الإدراك رؤية معها إحــاطة بالمدرك ، والبــارى سبحانه يرى ولا يدرك ، لأنه لا يحاط به .

وقال أبو اسحاق الزجاج : فى هذه الآية أعلم سبحانه أنه يدرك الأبصار ،وفى هذا الإعلام دليــل

---

(١) هو أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك الأنصارى الأصبهانى كان متكلما وفقيها ومفسرا وأصوليا ولغوياً وأدبيا ونحويا وهو من فقهاء الشافعية ، درس بالعراق ثم رحل الى الرى ، وحدث بنيسابور ، وكان جل اهتمامه العلمى منصبا على علم الكلام وكان يبحث الحديث والقرآن من وجهة النظر الكلامية وقد بلغت تصانيفه قريبا من المائة منها : « مشكل الحديث وغريبه » و « الحدود فى الأصول» و « أسماء الرجال » و « دقائق الأسرار » و « مشـــكل الآثار » و « النظامى فى أصول الدين » و « تفسير القرآن » توفى على مقربة من نيسابور سنة ٤٠٦ هـ قتلــه محمود الغزنوى بالسم لأنه كان يقول : ان محمدا ﷺ كان رسولا فى حياته فقط ، وأن روحه قد هلكت بعد وفاته .

انظر : طبقات الشافعية للسبكى جـ ٣/٥٢ والاعلام للزركلى جـ ٦/٣١٣ وشذرات الذهب لابن العماد جـ ٣/١٨١ وتاريخ التراث العربى لفؤاد سزكين المجلد الأول جـ ٤/٥١ — ٥٤ .

ان خلقـــه لا يدركون الإبصـــار أى : لا يعرفون كيف حقيقة البصر ، وما الشىء الذى صـــار به الإنسان يبصر من عينيه دون أن يبصر من غيرهما من ســـائر أعضائه فأعلم الله أن خلقا من خلقه لا يدرك المخلوقون كنهه ، ولا يحيطون بعلمه فكيف به عز وجل والأبصار لا تحيط به ، وهو اللطيف الخبير ، قال فأما ما جاء من الأخبار فى الرؤية وصح عن النبى ﷺ فغير مدفوع وليس فى هذه الآية دليل على دفعه ، لأن معنى هذه الآية معنى ادراك الشىء بالإحاطة بحقيقته ، وهذا مذهب أهـــل السنة والعلم والحديث (١) ٠

وقال ابو نصر بن القشيرى قوله تعالى « لا تدركه الأبصار » بين أنه منزه عن سمات الحدوث ومنهـــا : الإدراك بمعنى الإحاطة والتحديد ، فالإدراك منتف عنه، والرؤية ثابتة (٢) ٠

---

(١) انظر : زاد المسير فى علم التفسير لأبى الفرج عبد الرحمن بن الجوزى ج ٣ ص ٩٨ ، ٩٩ ٠

(٢) بحثت عن تفسير هذه الآية فى » التيســـير فى التفسير « وهو مخطوط بجامعة الملك السعود فلم أجـــد فيه تفسير سورة الانعام ، اذ أنه يبدأ من سورة التوبة ، كما اننى لم أجد تفسير الآية بهـذا المعنى فى « لطـــائف الارشادات » ٠

وقال شيخنا أبو الحسن فى تفسيره « لا تدركه الأبصار » أى لا تتصل به ولا تناله ، ومنه قولهم : أدركته أى لحقته ، وما أدركت زمانه هو ضد الفوات ، والذين جعلتموهم آلهة من دونه على خلاف ذلك « وهو يدرك الأبصار » أى يراها ويحيط بها ، ويعلم ما تمتد إليه مما ليس لها كما قال عز وجل « يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور » (١) .

« وهو اللطيف الخبير » أى العليم بما يدق من الأشياء ويلطف ، الخبير بذلك ، وليس لآلهتهم شىء من جميع ما ذكر .

الوجه الرابع : أنه نفى الإدراك عن الأبصار وهو كذلك بل المبصرون بالبصر يدركونه وهو يدرك الأبصار وكل موجود وانما خص الأبصار ، لتطبيق الكلام ، وهذا الوجه قد ذكره امام الحرمين فى الشامل (٢) ، وابو نصر القشيرى فى تفسيره .

---

(١) سورة غافر : ١٩ .

(٢) لم يتناول امام الحرمين فى كتابه « الشامل فى اصول الدين » موضوع رؤية الله وانما تعرض لهذا فى كتابه « الارشاد الى قواطع الأدلة فى أصول الاعتقاد » انظر ص ١٨٢ ، ١٨٣ تحقيق الدكتور محمد يوسف موسى وعلى عبد المنعم عبد الحميد .

ومما ينبغى الاشارة اليه أن المؤلف اكتفى بذكر مضمون كلام امام الحرمين دون تقيد بألفاظه .

وهو ضعيف ، فإنه مناقشة جدلية لا فائدة تحتها ، فإن الإدراك وان كان للمبصرين فطريقه الذى حصل به هو البصر .

الخامس : نقل محمود بن حمزة الكرمانى فى تفسيره قال : وقيل ان الله تعالى يحدث للعبيد حاسة سادسة سوى حواسهم الخمسة يرونه بها ، وإنما قالوا هذا هربا مما أورده المعتزلة من أن البصر إنما يتعلق بما كان فى جهة فقال هؤلاء يُرى بحاسة أخرى دون البصر ، والأبصار لا تدركه (١) .

ولا حاجة الى هذا ، فالكل بالنسبة الى قدرته واحد .

وما أحسن ما قال أبو يزيد البسطامى (٢) رحمه

---

(١) قال بعض المعتزلة منهم : « ضرار » و « حفص الفرد » ان الله لا يرى بالأبصار ، ولكن يخلق لنا يوم القيامة حاسة سادسة غير حواسنا هذه فندركه بها وندرك ما هو بتلك الحاسة .

انظر : « مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين » لأبى الحسن الاشعرى ج ١ ص ٢٨٩ تحقيق الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد .

(٢) هو طيفور بن عيسى البسطامى أبو يزيد ويقال : بايزيد ينسب الى بسطام مسقط رأسه وهى بلدة بين خراسان والعراق وأصله منها ، ووفاته بها ، وكان زاهدا له أخبار كثيرة ، ولد سنة ١٨٨ هـ وتوفى سنة ٢٦١ هـ وقيل سنة ٢٦٤ هـ .

الله ان الله احتجب عن القلوب كما احتجب عن الأبصار فإذا وقع تجليا فالبصر والفؤاد واحد .

فإن قالوا أليس قد تمدح بقوله تعالى « لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار » كما قد تمدح بقوله تعالى « بديع السموات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة » (١) فكيف يجوز أن تزول عنه مدحته .

قيل لهم : إنما تمدح بكونه قادرا على حجب الأبصار عن رؤيته فى الدنيا ، وهذه صفة مدح ولو كان بحيث تمتنع رؤيته لذاته لما حصل تمدح بنفى هذا الإدراك بالأبصار ، بدليل أن المعدومات لا تصح رؤيتها، وليس ذلك لها صفة مدح ، وكذلك المعانى من الموجودات وجميع الطعوم والروائح ، فلا تمدح فى كون الشىء غير قابل لأن يرى ، وإنما التمدح فى كون الشىء مرئيا مع اقتداره على أن يحجز عن رؤيته من شاء ، ويصد المتطلعين عن إدراكه ، ويشهد لذلك قوله تعالى « كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون » .

انظر : وفيات الأعيان لابن خلكان جـ ١/٢٤٠ ، والأعلام للزركلى جـ ٣/٢٣٩ وحلية الاولياء لابى نعيم جـ ١٠/٣٣ وتاريخ التراث العربى لفؤاد سزكين المجلد الأول جـ ٤/١٢٥ .

(١) سورة الأنعام : ١٠١ .

وقد ذكر القاضى أبو بكر محمد بن الطيب رحمه الله وغيره فى الجواب عن هذا الاشكال وجوها أحدها هذا فقال يمكن أن يكون وجه التمدح بقوله « لا تدركه الإبصار » أنه سبحانه يدرك الأشياء ، وأنه موجـــود يصح أن يدرك ، وأن كل من يرانا يصح أن نراه من الخلق ، وأنه هو سبحانه قد منعنا من الإدراك له ، وان كان مدركا لنا وأنه ليس فيمن يدركنا ببصره من يمكنه أن يخلق فينا ما يضاد رؤيته ، وينفيها فيكون سبحانه ممتدحا بقدرته على خلق ما يضاد رؤيته ، وكونه قادرا على خلق ضد رؤيته لازم له أبدا لا يتغير عنه ، وكونه خالقا لما يضاد رؤيته تمدح ببعض أفعاله (١) .

فإن قلت : فإذا كان متمدحا بعدم إدراك الأبصار له ، فيكون وجوده نقصا كما تمــدح سبحانه بقوله « لا تأخذه سنة ولا نوم » (٢) .

« ما اتخذ الله من ولد » (٣) فهو نفى مطلق عام شامل للأزمان كلها دنيا وآخرة وإذا كان كذلك وجب

---

(١) انظر : الانصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجــوز الجهل به للباقلانى ص ١٨٣ تحقيق الشيخ محمد زاهــد الكوثرى .

(٢) سورة البقرة : ٢٥٥ .

(٣) سورة المؤمنون : ٩١ .

أن الأبصار لا تدركه مطلقا لا فى الدنيا ولا فى الآخرة ، لتستمر صفة المدح •

قلت : قد أجاب أصحابنا عن ذلك قال الامام أبو المعالى لم زعمتم أن ما وقع به التمدح فواجب استمراره ألم تعلموا ان الله تعالى يتمدح بصفات ذاته ، ويتمدح أيضا بصفات أفعاله كعدله ، وإحسانه ، وإفضاله فلم قطعتم بأن كل ما تمدح به الرب تعالى لازم من كل وجه•

وقال القاضى : قد يجوز أن يزول عنه المدح بفعله ألا ترى أنه ممدوح بكونه محييا ومميتا ، وإن لم يكن فى أوله موصوفا بذلك ، ولا موصوفا بأنه يميت أهل النار وأهل الجنة ، ثم يحييهم ، وإذا كان ذلك كذلك بطل ما قالوه (١) •

قلت : وإذا بطل وكانت هذه الصفة قابلة لأن تخصص ببعض الأزمان دون بعض خصصناها بالدنيا ؛ لورود خبر الصادق بوقوع رؤية الله تعالى فى الآخرة كما سبق •

وأما (لا تأخذه سنة ولانوم) (ما اتخذ الله من ولد) ونحو ذلك فإنما تمدح بنفى الآفات عنه ، وما لا يليق به فيعم جميع الأزمان •

---

(١) انظر : كتاب التمهيد لابى بكر محمد بن الطيب الباقلانى ص ٢٦٩ •

فإن قلت : ما وجه التمدح بنفى هذه الأشياء مع مشاركة الأعراض والموات فى ذلك فإنها لا تأخذها سنة ولانوم أيضا ، وهذا وارد على ما تقدم من القول بأنه لا تمدح فى كون الشىء غير قابل أن يــرى بدليل أن الطعوم والروائح لا تمدح بذلك .

قلت : أجاب القاضى بأنه إنما تمدح بنفى هــذه الآفات عنه من النوم والسنة والولد مع جوازها على غيره من الأحياء ، قال : وكل حى ممتنع ذلك عليه فإنه ممدوح به وممدوح أيضا بكونه حيا ليس بميت فنحن إذا قلنا إنه ممدوح بكونه حيا ، وأن السنة لا تأخذه فقد مدحناه بالأمرين (١) .

وقال أبو المعالى : ما أراد تعالى تخصيص السنة والنوم بالنفى ولكنه نبه بهما على تقدسه وتنزهه عن الغفلات ، والفترات وسمات المحدثات ، والخروج عن قضية العلم ، وكلٌ يعلم أنه تعالى لم يــرد تخصيص ضربين من الآفات بالنفى ، بل أراد عز وجل إيضـــاح استحالة خروجــه عن وصف العالمين ، قال والأعراض بأنفسها خارجة عن حكم العالمين .

---

(١) انظر : كتاب التمهيد لابى بكر محمــد الطيب الباقلانى ص ٢٦٩ .

وقال فى موضع آخر : ما أراد سبحانه تخصيصها بالنفى ولكنه نبه بهما على تقدسه عن الغفلات تأكيدا لقوله « الله لا إله إلا هو الحى القيوم » (١) فإن التيم بالأمور الكائنات حقه أن لا يسهو ولا يغفل • قال ونظير قوله تعالى «لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار» فى التمدح قوله سبحانه « وهو يجير ولا يجار عليه » (٢)

وقال أبو بكر بن فورك : النوم والسنة نقص ينافى العلم ، والرؤية ، وليس كذلك إدراك البصر فإنه لا يقتضى نقصا فى المدرك ، ولا تغيرا له عما هو به وعليه •

الوجه الثانى فى الجواب عن أصل السؤال الذى هو التمدح بقوله « لا تدركه الأبصار » قال القاضى : إنما تمدح بقوله « وهو يدرك الأبصار » ولم يتمدح باستحالة إدراكه بالأبصار لأن الطعوم ، والأراييح ، وأكثر الأعراض لا يجوز عندكم أن ترى بالأبصار ، وليست ممدوحة بذلك •

فإن قالوا : فما أنكرتم أن يكون إنما تمدح بأنه يدرك الأبصار ، وأنها لا تدركه •

---

(١) سورة البقرة : ٢٥٥ .
(٢) سورة المؤمنون : ٨٩ .

قيل لهم : هذا باطل ، لأن الوصفين اللذين يتمدح بهما لابد أن يكون فى كل واحد منهما مدح لمجرده نحو قوله سبحانه « إنه عزيز حكيم ، عليم قدير » فكل واحد من الوصفين مدحه فى نفسه مجردا وإن انضم إليـــه غيره (١) •

ولما لم يكن كون المعلوم غير مدرك بالبصر مدحا له عندنا وعندكم بطل ما قلتم ؛ لأن أكثر الموجودات عندكم لا يجوز أن تدرك بالأبصار ، وكل المعدومات عندنا وعندكم لا تدرك بالأبصار ، وليست بذلك ممدوحات ألا ترى أنه لو قال عز وجل : إنى عالم معلوم ، وموجد موجود لكان ممتدحا بقوله : إنى عالم موجد ، ولم يكن ممتدحا بما ضامه من كونه معلوما ، موجودا ؛ إذ شاركه عندنا وعندكم فى هذين الوصفين ما ليس بممدوح بهما فكذلك المدح فى قوله تعالى : « وهــو يدرك الأبصار » دون قوله : « لا تدركه الأبصار » •

الوجه الثالث : قال القاضى : يحتمل أن يكون وجه التمدح فى قوله « لا تدركه الأبصار » أنها لا تدركه جسما مصورا متحيزا ، ولا حالا فى شىء على ما تقول

(١) انظر : الانصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجــوز الجهل به للقاضى ابى بكر بن الطيب الباقلانى تحقيق الشيخ محمد زاهد الكوثرى ص ١٨٢ ، ١٨٣ .

النصارى ولا مشبها لشىء على ما يقوله أهل التشبيه ، ويكون القصد بذلك الرد على من وصفه بهذه الصفات [١].

الرابع : قال القاضى : وليس لأحد من المعتزلة التعلق بهذه الآية ؛ لأن الله جل وعز إنما نفى عندهم من ادراك الأبصار ما اثبته لنفسه فى قوله « وهو يدرك الأبصار » ولم يعن بذلك عند البصريين أنه يرى الأبصار ؛ لأنها مما لا يصلح أن تدرك [٢] ، ولا يرى أيضا شيئا ألبتة عند البغداديين وإنما عنى عندهم أنه يعلم الأبصار فيجب أن يكون إنما نفى بقوله « لا تدركه الأبصار » علمها به تعالى [٣] .

وقال أبو المعالى : ومما نطالبهم به ، وموقعه

---

(١) انظر : الانصاف للباقلانى ص ١٨٥ تحقيق الشيخ محمد زاهد الكوثرى .

(٢) لأن البصر عرض ، والعرض — عندهم — لا يدرك .

(٣) واذا كان لا يراد بالادراك الرؤية عند البغداديين من المعتزلة وانما يراد به العلم فلا يصح لهم الاحتجاج بهذه الآية فى نفى الرؤية .

راجع فى هذا : الانصاف للباقلانى ص ١٨٣ تحقيق الشيخ محمد زاهد الكوثرى .

ومما ينبغى الاشارة اليه أن المؤلف رحمه الله لا ينقل ما يقوله القاضى الباقلانى بلفظه وانما يسوق فحوى كلامه.

عظيم عليهم أن نقول : ما معنى قوله تعالى « وهو يدرك الأبصـــار » ؟

فأما البغداديون فيقولون : ليس الله تعالى مدركا على الحقيقة ، وإنما يسمى ســميعا بصــيرا تجوزا فيضطرون الى حمل قوله « وهو يدرك الأبصار » على خلاف الرؤية .

ونحن نقطع بأن الإدراك الذى أثبته الله تعالى لنفسه هو الذى نفاه عن غيره فإذا لم يحمــل هؤلاء إدراك الله تعالى على الرؤية امتنع عليهم حمل إدراك الخلق على الرؤية وسقط استدلالهم جملة .

قال : وأما البصريون فقد وصفوا الرب تعـــالى بكونه مدركا على الحقيقة ، ولكن الكلبة عليهم أشد ؛ فإنهم قالوا : الأبصار ليست من قبيل المرئيات ، وسبيلها سبيل الطعوم ، والروائح التى لا تصلح رؤيتها لامن الله تعالى ، ولا من الخلق فما معنى قوله تعالى « وهــو يدرك الأبصار » ؟ فإن قالوا معناه : وهو يعلمها .

قلنا : فإذا حملتم ذلك على العلم فاحملوا إدراك الخلق على العــلم أيضا ، وهــذا يجر الى اضطراب استدلالهم .

وقال أبو نصر بن القشيرى : ثم ان الآية إن دلت على أن الأبصار لا تدركه فليس فيها أنه لا يجوز أن

تدركه الأبصار ، ولا تمدح فى خروج الشىء عن أن يرى ؛ فإن الكفر عند الخصوم ، والمعدومات عند الكل لا ترى ، وليس لها صفة مدح بذلك وإنما التمدح فى ان يقال : هو مرئى ولكن يقدر على منع الأبصار عن رؤيته ، ثم نفاة الرؤية قد نسوا أنفسهم فى التمسك بهذه الآيه ؛ فإنه نفى الإدراك عن الخلق واثبته لنفسه فقال « وهو يدرك الابصار » وهما بمعنى واحد ، وعند البغداديين منهم ليس الله مدركا على الحقيقة ، ويسمى بصيرا سميعا على التجوز فيضطرون الى حمل الإدراك على خلاف الرؤية فكيف يحملون إدراك الخلق له على الرؤية ؟

والبصريون منهم يقولون : هو مدرك حقيقة ، ولكن الأبصار ليست من قبيل المرئيات عندهم بل هى كالطعوم والروائح فيستحيل رؤيتها من الله ومن الخلق، فما معنى قوله : « وهو يدرك الأبصار » حتى ينفى عن العبد ما نثبته للرب ؟ وغايتهم الحمل على العلم أى : وهو يعلم الأبصار فليحملوا إدراك الخلق على العلم أيضا .

وقد قالوا : تطرق الى الخبر تخصيص وتجوز ، وعندهم ما دخله التخصيص صار مجملا لا يتمسك به .

فصـــــل

ومما تمسك به النافون للرؤية قول الله تعـــالى لموسى عليه السلام « لن ترانى » (١) .

وقالوا : كلمة لن تتضـــمن التأبيد ، والتخليد ، وتحقيق النفى وتأكيده ؛ فإن القائل إذا قال : لن أفعل كذا اقتضى ذلك نفيه عموما على ابلغ وجه فى التأكيد ، هكذا نقله إمام الحرمين عنهم فى كتـــاب الشامل ، قال : واستدلوا من هذه الآية أيضا بقوله تعالى من الإخبار عن موسى صلوات الله عليـــه « فلمـــا أفاق قال سبحانك تبت إليك » (٢) قالوا وهذا دليل على امتناع ما سأله موسى عليه السلام .

قال الإمام وسبيلنا أن نقول لهم صدر الآية حجة قاطعة عليكم ؛ فإن موسى صلوات الله عليه سأل الرؤية، ولا شك أنه اعتقد جوازها لما سألها ؛ إذ لا يظن به أنه ﷺ سأل ربه محالا ، ومن أصلكم أن من اعتقد جواز الرؤية فهو كافر بالله ، أو ضال فما حيلتكم — معاشر المعتزلة — فى سؤال موسى ﷺ ؟ أتظنون أنكم استدركتم فى معرفة الله تعالى ما لم يكن موسى عالما به ؟ أم تزعمون

---

(١) سورة الأعراف : ١٤٣ .

(٢) سورة الأعراف : ١٤٣ .

أن من شدا (١) طرفا من علمكم فهو أعلم بالله من صفى الله وكليمه صلوات الله عليه . كبرت كلمة تخرج من أفواههم أن يقولون إلا كذبا ، قال وقد خاب [ظنهم](٢) وتباين فيه كلامهم ، ومحصول ما قالوه أربع طرق : فأما أبو الهذيل العلاف (٣) فإنه قال : ما سأل موسى ﷺ ربه الرؤية وإنما سأله علما ضروريا (٤) والمعنى بقوله

---

(١) شدا : أى أخذ طرفا من علمكم .
انظر : القاموس المحيط جـ ٣٤٩/٤ .

(٢) ما بين القوسين المركنين من وضع المحقق وهى فى الأصل غير واضحة ، والكلمة التى وضعتها تتفق وسياق الكلام .

(٣) هو محمد بن الهزيل بن عبد الله بن مكحول البصرى ابو الهذيل العلاف مولى عبد القيس ولد بالبصرة سنة ١٣٥ هـ وقيل سنة ١٣٤ أو ١٣١ هـ ثم ذهب الى بغداد، وانضم الى واصل بن عطاء ، ولقد أحضره المأمون مع النظام الى قصر الخلافة فى سنة ٢٠٤ هـ ، ويعد العلاف رائد التأليف فى علم الكلام عند المعتزلة وكان شيخ البصريين فى الاعتزال وهو صاحب مقالات فى مذهبهم ، ومجالس ومناظرات ، توفى سنة ٢٢٦ هـ وقيل سنة ٢٢٧ أو ٢٣٥ هـ
انظر : وفيات الاعيان لابن خلكان جـ ٢٦٥/٤ ، وتاريخ التراث العربى لفؤاد سزكين المجلد الأول جـ ٦٦/٤ ولسان الميزان لابن حجر جـ ٤١٣/٥ .

(٤) روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى للألوسى جـ ٩ ص ٤٦ .

« أرنى » أعلمنى علما ضروريا ٠٠.٠٠٠ (١) .

وقال الكعبى (٢) ومعتزلة بغداد : ما سأل الله الرؤية، بل سأله أن يريه علما من أعلام الساعة (٣)

وقال الجاحظ (٤) ومتبعوه : سأل موسى الرؤية ،

---

(١) مكان النقاط ثلاث كلمات غير واضحات فى المخطوطة ولقد حاولت — جاهدا — قراءتها الا اننى لم أستطع الى ذلك سبيلا ، وعلى كل فلم يترتب على هذا غموض ينبنى عليه عدم فهم الكلام .

(٢) هو : عبد الله بن احمد بن محمود الكعبى من بنى كعب ، البلخى ، الخراسانى ابو القاسم أحد شيوخ المعتزلة ، كان رأس طائفة منهم تسمى « الكعبية » وله آراء ومقالات فى الكلام انفرد بها ، وهو من أهل بلخ ، أقام ببغداد مدة طويلة .

له كتب منها : « التفسير » و « تأييد مقالة أبى الهذيل » و « أدب الجدل » و « تحفة الوزراء » و « محاسن آل طاهر » و « الطعن على المحدثين » .

أثنى عليه أبو حيان التوحيدى ، وقال الخطيب البغدادى : صنف فى الكلام كتبا كثيرة . وقال السمعانى : من مقالاته : ان الله تعالى ليس له ارادة ، وأن جميع افعاله واقعة منه بغير ارادة ولا مشيئة منه لها ، وتوفى سنة ٣١٩ هـ .

انظر : وفيات الأعيان لابن خلكان جـ ٣/ ٤٥ تحقيق د . احسان عباس ، ولسان الميزان لابن حجر جـ ٣/٢٥٥، والاعلام للزركلى جـ ١٨٩/٤ .

(٣) انظر : روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى للألوسى جـ ٩ ص ٤٦ .

(٤) هو عمرو بن بحر بن محبوب الكنانى الليثى ابو عثمان المعروف بالجاحظ البصرى ، صاحب التصانيف فى كل فن ، رئيس الفرقة الجاحظية من المعتزلة ،له مصنفات

ولكن لم يسألها لنفسه ، بل سألها لقومه قطعا لمعاذيرهم، إذ كانوا يسألونه أن يريهم ربهم ، ويقولون : « أرنا الله جهرة » (١) .

وذهبت شرذمة من المعتزلة الى أن موسى ﷺ سأل الرؤية لنفسه ، وكان يعتقد جوازها ، ولم يكن عالما باستحالتها .

قال وهؤلاء يقولون : من علم الله تعالى بعدله وتوحيده ، فليس من القوادح فى معرفته الذهول عن العلم باستحالة رؤيته .

قال وهؤلاء شرذمة لا يؤبه لهم ، والذى صار إليه جماهير القوم ما قدمناه .

فأما ما قاله أبو الهذيل ، وتابعه عليه الجبائى ، وكثير من معتزلة البصرة فهو ظاهر البطلان ، وليس تجرى أقوال هؤلاء مجرى التأويل المزيل للظاهر ، وإنما هو مخالفة للنص ، وحيد عن مقتضى الكلام على القطع،

=

كثيرة منها : « الحيوان » و « البيان والتبيين » وغير ذلك من الكتب . ولد سنة ١٦٣ هـ وتوفى بالبصرة سنة ٢٣٩ هـ

انظر : لسان الميزان لابن حجر العسقلانى جـ ٤/٣٥٥، ووفيات الاعيان لابن خلكان جـ ٣/٤٧٠ تحقيق د . احسان عباس ، والاعلام للزركلى جـ ٥/٢٣٩ .

(١) انظر : روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى للألوسى جـ ٥ ص ٤٦ ، ٤٧ .

والذى يحقق ذلك أوجه منها : أن الرؤية وإن أطلقت بمعنى العلم فى بعض المواضع ، فإذا قرنت بالنظر ، ثم عدى النظر بإلى ، فلا تحتمل العلم بوجه .

وقد قال عز وجل منبئا عن موسى ﷺ « أرنى أنظر إليك » (١) فمن رام صرف ذلك عن الإدراك كان متعسفا فى تأويله .

ومما يوضح ما قلناه : أن المعتزلة كافة مجمعون على أن قوله تعالى « لن ترانى » ليس المراد منه نفى العلم ، وإنما المراد منه نفى الرؤية ، وقد عدوا ذلك من عمدهم ، ولا خلاف بين أهل التأويل ، وعلماء الأمصار فى أن قوله تعالى « لن ترانى » جواب لموسى ﷺ . ومن حكم الجواب أن يكون متناولا لقضية السؤال بالنفى والإثبات فيستحيل إذن أن يسأل موسى العلم فيجيبه الرب تعالى بجواب يتصل بالرؤية ولا يخفى درك فساد ذلك على محصل .

قال : وأما ما قاله الكعبى من أن موسى عليه السلام سأل الله أن يريه علما من أعلام الساعة وآية من الآيات فهذا بعيد جدا ، وذلك أن الرؤية مضافة الى الله تعالى فى قوله «رب أرنى انظر إليك» فمن رام حمل ذلك على

---

(١) سورة الأعراف : ١٤٣ .

آية (١) فقد ترك الظاهر ، والفحوى ، وليس يسوغ التحكم بإزالة الظواهر من غير نصب دليل •

ثم قوله تعالى « لن ترانى » محمول عند كافة المعتزلة على رؤية البارى ولذلك أطبقوا على الاستدلال به فى نفى الرؤية ، وهو جواب لسؤال موسى ، ومن حكم الجواب أن يتعلق بموجب السؤال ، ومن المستحيل أن يسأل الله موسى آية فيجيبه الله سبحانه وتعالى بأنه لا يرى ربه •

هذا تهافت فى الكلام يتوقاه كل لبيب ، فكيف نظن بكلام الله العزيز ؟ •

نقول : يبعد أن يسأل موسى آية ، وكان محتوشا (٢)

---

(١) أى على أن المراد : أرنى آية من الآيات •

(٢) محتوشا : أى محاطا بالآيات ، فقد بعثه الله بتسع آيات بينات وهى المعجزات والدلالات القاطعة على صحة نبوته وصدقه وهى « العصا ، واليد ، والسنين ، والبحر ، والطوفان ، والجراد ، والقمل ، والضفادع ، والدم » قاله ابن عباس ، وقال محمد بن كعب : هى اليد ، والعصا ، والخمس فى الأعراف ، والطمس على أموالهم ، والحجر ، وقال ابن عباس أيضا ومجاهد هى : يده ، وعصاه ، والسنين ونقص من الثمرات ، والطوفان ، والجراد ، والقمل ، والضفادع ، والدم .

وجعل الحسن البصرى السنين ، ونقص الثمرات واحدة ، وعنده أن التاسعة هى تلقف العصا ما يأفكون وعن مالك

بالآيات والمعجزات ، ولو سأل المزيد فيها لما لاقى ما لاقى من الصعق ، وعظيم الذعر ، ولكان ما سأل من جنس ما أعطى .

قال : وأما ما ذكره الجاحظ ، وكثير من معتزلة البصرة أن موسى ﷺ سأل الرؤية لقومه قطعا لمعاذيرهم، فإنهم طالبوه بأن يريهم ربهم فسأل ما سأل ، ليوضح الله لهم استحالة مرامهم .

فنقول : هذا ركيك من القول مرذول ، وأول ما فيه : أنه مخالفة الظاهر ، ومخالفة أقوال أهل التفسير .

فأما الظاهر فقوله (أرنى) وهذا مصرح بسؤاله الرؤية لنفسه ، ثم أكد فقال : « أنظر إليك » ورجع الجواب أيضا على الاختصاص بخطاب موسى ﷺ فإنه تعالى قال « لن ترانى » فلا معنى للتحكم بإزالة الظاهر .

كذلك الا أنه جعل مكان السنين والنقص من الثمرات : البحر ، والجبل .

فكيف يمكن بعد هذه الأقوال طلب آية ظاهرة قاهرة ؟ وأنه عليه السلام كان يتكلم مع الله بلا واسطة ، ففى هذه الحالة كيف يليق به أن يقول : أظهر لى آية قاهرة ظاهرة تدل على أنك موجود ؟ ومعلوم أن هذا الكلام فى غاية الفساد .

انظر : مختصر تفسير ابن كثير المجلد الثانى ص ٤٠٣، والجامع لأحكام القرآن للقرطبى ج ١٠ ص ٣٣٦ والتفسير الكبير للفخر الرازى ج ١٤ ص ٢٣٠ .

وقد أجمع أهل التفسير المشتغلون بضبط التواريخ على أنه عليه السلام سأل الله تعالى الرؤية فى اول مقام وموقف ، وإنما سأل قومه ما سألوا بعد خروجه صلوات الله عليه من مصر بقومه بعد انفلاق البحر وإهلاك الله فرعون •

قلت : هذا وهم من الإمام ؛ فإن الامرين كانا بعد مجاوزة البحر ، وإهلاك فرعون ، ومن قرا الآيات فى سورة الأعراف من قوله « وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر » (١) الى آخر القصة عرف ذلك • نعم يجوز أن يقال : إن طلب موسى الرؤية كان قبل طلب قومه للرؤيه لأمرين :

إحدهما : سياق القصة فى سورة الأعراف ؛ فإنه بعد ذكر إفاقة موسى من الصعقة واتخاذ قومه العجل، ورجوعه إليهم ذكر سبحانه أن موسى عليه السلام اختار من قومه سبعين رجلا ، فلما أخذتهم الرجفة وهى الصاعقة المذكورة فى سورة البقرة (٢) وسورة النساء (٣) وهؤلاء قيل هم الذين سألوا الرؤية •

---

(١) سورة يونس : ٩٠ •

(٢) فى قوله تعالى « واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون » آية ٥٥ •

(٣) فى قوله تعالى « فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم » آية : ١٥٣

والثانى : من جهة المعنى وهو أن القوم لو كانوا سألوا الرؤيــة أولا ، وأخذتهم الرجفــة ، لأغنى موسى عليه السلام ذلك عن اقتحام طلب الرؤيــة ، ولكان فيما أصاب قومه ما يزجره عنه ، مع أن فى سورة النساء ما يدل ظاهره على أن سؤالهم الرؤية كان قبل اتخاذهم العجل ؛ لأنه قال « فأخذتهم الصاعقة بظلمهم ثم اتخذوا العجل » (١) وكلمة ثم تقتضى الترتيب والتراخى ، واتخاذ قوم موسى العجل كان فى المدة التى اشتغل فيهـا موسى بالمناجاة ، وأبطأ عليهم ، ولهذا قال لهم « أفطال عليكم العهد » (٢) وإذا كان ذلك كذلك ظهر أن سؤالهم الرؤية كان قبل سؤال موسى لولا ما ذكرناه من الدليل المعنوى فيجب اعتقاد أن سؤالهم بعد سؤال موسى ، وهو أيضا من أعاجيب أمور بنى اسرائيل . فإن موسى رد وصعق لما سأل فكيف اجترءوا على السؤال بعده ؟

ويحتمل أن يكون السؤال واحدا سأل قوم موسى موسى ذلك فسأل ذلك موسى ربه فأخذت الصــاعقة الجميع ، وخص الله تعالى موسى بقوله « لن ترانى ولكن انظر الى الجبل » (٣) • وعلى هــذا يكون الذين سألوا

---

(١) الآية السابقة .

(٢) سورة طه : ٨٦ .

(٣) سورة الأعراف : ١٤٣ .

الرؤية غير السبعين المختارين ، فإن السبعين أصابتهم الرجفة بعد اتخاذ قومهم العجل ، ولهذا قال موسى عليه السلام « أتهلكنا بما فعل السفهاء منا » (١) الآية .

ثم قال الإمام فى جواب ما قاله الجاحظ وأتباعه :

لو صح ما قلتموه لأفضى ذلك الى نسبة موسى ﷺ الى ما يخالف التعظيم والخضوع والخنوع لله تعالى ، ولجر الى الاجتراء عليه وإساءة المنطق فى مسألته ، فلو كانت الرؤية مستحيلة مفضية الى التشبيه والتمثيل والتشكيك لكان موسى قد صرح بمسئلة محال ، ونطق بضلال من غير أن يضيفه إلى غيره ، وذلك مما برأ الله الأنبياء عنه ، والدليل عليه : أن أمة لو سألت نبيها أن ينتقل إليهم ربهم تحولا وزوالا ، وأن يكون منعوتا بسمات الحدث لما صح من النبى أن يقول قطعا لمعاذيرهم: رب انتقل وتحول ، وزل .

كيف ولو نطق الناطق منا بمثل ذلك لكان ناطقا بالكفر ، ولا يعذره فى نطقه رومه (٢) قطع معاذير قوم فكيف يظن بنبى الله ، وأجدر عالمى زمانه بالتأدب فى نطقه وفعله أن يجوز بغية ضلال ومسئلة محال من غير

---

(١) سورة الأعراف : ١٥٥ .

(٢) الروم : الطلب كالمرام .

انظر : القاموس المحيط ج ٤ ص ١٢٤ .

أن يسنده الى قومه ، وكان عليه السلام مقتدرا — لو صح ما قلتموه — على أن يقول : قد أعنتنى قومى ، وسألونى محالا ، فإن كان ما سألوه محالا فبين لهم ، واقطع أطماعهم عن هذه .

والأنبياء صلوات الله عليهم لا تأخـذهم فى الله لومة لائم وهم مبرءون من خائنة الأعين ، وقد ضربت عليهم العصمة العامة للجوارح والألسن .

ومن الدليل على ذلك أنهم لما سألوه أن يجعل لهم إلها أغلظ عليهم القول ، وقال : « ان هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون » (١) .

قال : وأما من قال من المعتزلة : أن موسى ﷺ سأل الرؤية لنفسه ، ولم يكن عالما باستحالتها فقد أعظم الفرية ، وتقحم فى المطاعن على الأنبياء صلوات الله عليهم ، والتزم أن يكون بعض أهل زماننا عالما من حكم الله بما لم يعلمه موسى ، وهو على رتبته وصفوته وهذا خروج عن الملة ؛ إذ الأمة مجمعة على أن الواحد من الناس يستحيل أن يستأثر بمعرفة حـكم من أحكام الله تعالى دون صفى الله وكليمه ، ثم كيف يسـتقيم ذلك على أصـول المعتزلة مع قولهم باستحالة جريان

---

(١) سورة الأعراف : ١٣٩ .

الصغائر على الأنبياء صلوات الله عليهم ، ومصيرهم الى أنها لو جرت عليهم لنفرت من اتبـــاعهم ، ولحطت من رتبتهم ، ولكان ذلك داعية إلى تكذيبهم والإزراز عليهم.

فإذا كان هذا قولهم فى صغيرة فكيف يستجيزون مع ذلك أن يجهـــل كليم الله من أمر ربه ما يعلمه بعض أهل زماننا ؟

ثم نقول : ما قولكم فى من اعتقد جواز الرؤية ، وصمم عليه أهو ضال أم لا ؟ .

فإن زعموا أنه ضال فقد نسبوا موسى ﷺ الى اعتقاد ضلال .

وإن زعمـــوا أن معتقد جواز الرؤية ليس بضـــال فقد تركوا دينهم (١) وجانبوا أصلهم فإن أقل ما ينسبوننا إليه الضلال فى تجويزنا رؤية البارى تعالى .

قال : فإذا بطلت هذه الطرق الأربع لم يبق بعدها إلا القطع بأن موسى ﷺ سأل الرؤية واعتقد جوازها ، وكان معتقده حقا صدقا غير مفض الى تشبيه وتمثيل ، وتثبيت جهات ، ومقابلات ، وهذا من أقوى ما يتمســـك به فى السمعيات .

---

(١) اى تركوا مذهبهم الذى يدينون به .

قال : فإن قالوا : أليس قال الله فى جوابه « لن ترانى » وهذا يقتضى تأبيد النفى .

قلنا : الآية ليست متضمنة نفى جواز الرؤية ؛ إذ ما قال تعالى : لا يجوز أن ترانى بل قال « لن ترانى » وكم من جائز وقوعه نفاه الله تعالى ، وهذا كما أن خروج أهل النيران من أطباقها ممكن ، وقد قضى الله تعالى على الكفرة بالخلود ، وعلق خروجهم بمستحيل فقال « حتى يلج الجمل فى سم الخياط » (١) .

ثم نقول : سأل موسى ﷺ الرؤية عاجلا ، وما تعرض لها آجلا ، ومن مذهب كثير من الأصوليين قصر الجواب على خصوص السؤال .

وقال القاضى أبو بكر : أراد سبحانه بقوله « لن ترانى » أى فى الدنيا ؛ لأنه إنما سأل ربه أن يريه نفسه فى الدنيا فقوله « لن ترانى » جواب لهذا السؤال ، ولو لم يكن جوابا لكان مخصوصا بقوله تعالى « إلى ربها ناظرة » (٢) .

قال الإمام : ثم تمسك أصحابنا بوجهين من الآية :

---

(١) سورة الأعراف : ٤٠ .

(٢) انظر : كتاب التمهيد لأبى بكر محمد بن الطيب الباقلانى ص ٢٧٠ .

أحدهما : أن قالوا : لو كانت الرؤية مستحيلة لما علقها الله تعالى بجائز ممكن ، فإنه عز من قائل قال « ولكن انظر الى الجبل » وكان موصوفا بالاقتدار على تثبيت على التجلى ولم يكن بقاء الجبل من المحالات ، فدل ذلك على أن الرؤية ممكنة ، إذ علقت على ممكن .

والوجه الثانى : أن التجلى عند المفسرين محمول على رؤية الجبل ربه (١) ؛ فإنه تعالى كان رائيا للجبل مطلعا عليه قبل أن يرضص ويدكك ، وإنما حدث ما حدث، وطرأ ما طرأ ؛ لأن الله تعالى خلق للجبل الحياة والرؤية، وتجلى له فتدكدك ، وأعلم موسى أن من حكمه وقضائه أن لا يصبر فى دار الدنيا شىء على لقائه .

---

(١) قال ابن الجوزى فى : زاد المسير فى علم التفسير جـ ٣ ص ٢٥٧ فى تفسير قوله تعالى « فلما تجلى ربه » قال الزجاج ظهر وبان ، وذهب الفخر الرازى فى التفسير الكبير جـ ١٤ ص ٢٣٥ الى القول بذلك .

وقال العلامة الألوسى فى تفسيره « روح المعانى » جـ ٩ ص ٤٥ « فلما تجلى ربه » اى ظهر له على الوجه اللائق بجنابه تعالى بعد جعله مدركا لذلك ، وقال شيخنا الكورانى : ان الجبل متدرج فى الأشياء التى تسبح بحمد الله بنص « وان من شىء الا يسبح بحمده » المحمول على ظاهره عند التحقيق ، المستلزم لكونه حيا مدركا حياة وادراكا لائقين بعالمه ونشأته .

وقال القاضي : معنى قوله تعالى « فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا » أنه أرى نفسه الجبل فتدكدك وصار قطعا لما أحب الله سبحانه من إعلام موسى أن أحـدا لا يراه في الدنيا إلا لحقه ما لحق الجبل ؛ لحكمه جل اسمه بجعل الدنيا دار تكليف وايمان بالغيب ، ومعنى قوله « تجلى » أى أنه رفع من الجبل الآفة المانعة له من رؤيته تعالى ، وأحياه ، وخلق فيه الإدراك له فرآه.

وقد يكون التجلى ظهورا ، وبروزا ، وخروجا من وراء السواتر والحجب وذلك من صفات الأجسام والله يتعالى عن ذلك .

وقد يكون التجلى بمعنى رفع الآفات المانعة من الادراك ومن ذلـك قولهم : تجلى لى الألوان ، وتجلت للضرير المبصرات إذا أبصر المرئيات ، وتجلى لى الأمر إذا زالت عوارض الشبه فيه .

وأما الحجاب فقد يكون بمعنى الساتر والمانع ، ومنـه سـمى حاجب الأمير حاجبـا ؛ لمنعـه منـه ، ودفعه عن الوصول إليه ، ومنه قوله تعالى « كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون » (١) يعني الكفار أي ممنوعون

---

(١) سورة المطففين : ١٥ .

بالآفات الموضوعة فى أبصارهم المانعة من رؤيته تعالى إهانة لهم ، وتفريقا بينهم وبين المؤمنين (١) •

قال الإمام : فإن قالوا : ما معنى قوله تعالى فى الإنباء عن موسى ﷺ « فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك » (٢) •

قلنا فى ذلك أوجه : منها أن نقول : لعله لما رأى الآيات العظيمة ، وذعر لها ، وارتاع منها جدد عندها التوبة والإنابة ، وليس الغرض تخصيص التوبة بما تقدم من السؤال • والمؤمنون بالله إذا رأوا آية عظيمة خضعوا ، وخنعوا عندها ، وتسرعوا الى تجديد التوبة والانابة مما قدموا •

قال : ويجوز أن نقول : إنما تاب من الإقدام على سؤال الرؤية فى الدنيا ؛ لما أعلمه الله أنه لا يراه فى الدنيا ، فتاب من مراجعة السؤال ، ثم التوبة هى الرجوع فى لغة العرب سواء تقدم ذنب أو لم يتقدم ، ومنه يقال : تاب وآب ، وثاب وأناب إذ رجع ، ومنه سمى الله نفسه توابا ومعناه : الرجوع على المكلفين بالعطف والرحمة ، فليس من ضرورة التوبة تقدم مقارفة •

---

(١) انظر : كتاب التمهيد لأبى بكر محمد بن الطيب الباقلانى ص ٢٧٢ •

(٢) سورة الأعراف : ١٤٣ •

وقال القاضى : يمكن أن يكون ذكر ذنوبا كانت له قبل ، قدم التوبة منها ، فجدد التوبة عند ذكرها ؛ لهول ما رأى ، كما يسارع الناس الى التوبة ، ويجددونها عند مشاهدة الأهوال ، والآيات .

قال : ويحتمل أن يكون المعنى فى قوله « تبت إليك » من ترك استئذانى لك فى هذه المسئلة العظيمة ، ومثلها ، أو تبت إليك أن أسألك الرؤية ؛ لهول ما أصابنى لا لأنها مستحيلة عليك لا ولا لأنى عاص فى سؤالى ، كما يقول القائل : تبت من ركوب البحر ، ومن كلام فلان ، ومن معاملته ، ومن الحج على جمل ، إذا ناله فى ذلك وصب وشدة ، وإن كان مباحاً حسناً جائزاً .

والتوبة هى الرجوع عن الشىء ، ومن ذلك يسمى الإقلاع عن الذنوب ، والعودة الى طاعة الله توبة ، وقوله تعالى « ثم تاب عليهم ليتوبوا » [١] أى رجع بهم الى التفضل والامتنان ليرجعوا عما كانوا عليه ، وليس الرجوع عن الشىء يقتضى عصياننا [٢] .

---

(١) سورة التوبة : ١١٨ .

(٢) انظر : كتاب التمهيد لأبى بكر محمد الطيب الباقلانى ص ٢٧٠ ، ٢٧١ .

قال الإمام : وأما قوله « وأنا أول المؤمنين » (١) فقد أجمع المسلمون أن موسى ﷺ لم يرد نفى الإيمان عن نفسه قبل حالته ، وإنما لقوله تأويلان :

أحدهما : وأنا أول المصدقين بأنك لا ترى فى الدنيا . والإيمان هو التصديق فى حقيقة اللغة .

والثانى : أنا أول مؤمنى زمانى ، وليس الغرض تخصيص الإيمان بوقت .

والدليل عليه : أنه أضاف الأولية الى نفسه لا الى إيمانه فلم يقل : وهـذا أول إيمانى فاسـتبان بجميع ما ذكرناه سقوط احتجاج المعتزلة بالآيه .

قال : وأما قولهم : كلمة لن تقتضى التأبيد فى النفى فليس كذلك ، قال الله تعالى لليهود « فتمنوا الموت إن كنتم صادقين » (٢) ، ثم أخبر عنهم أنهم لن يتمنوه أبداً ثم أخبر عن عامة الكفرة أنهم يتمنون الموت فى الآخرة فيقولون « يا ليتها كانت القاضـية » (٣) يعنى الموت ، وظاهر الآية لن يتمنوه أبدا فى الدنيا بما قدمت أيديهم من تحريف التوراة ضررا من العذاب بعد الموت (٤) .

---

(١) سورة الأعراف : ١٤٣ .

(٢) سورة البقرة : ٩٤ .

(٣) سورة الحاقة : ٢٧ .

قلت : وقد ادعى بعض المشايخ ضد ما ادعــوه فى لن من التأبيد فقال : لن إلى وقت ، ولا على الأبد .

والحق أنهما معا لمجرد النفى عن الأفعال المستقبلة، والتأبيد وعدمه يؤخذان من دليل خارج عنهما ، وقوله تعالى « ولن يتمنوه » محمول على الدنيا ؛ بدليل تمنيهم الموت فى الآخرة « ونادوا يا مالك ليقبض علينا ربك»(١).

ثم لو كان الأمر أنهم ليسوا يتمنون الموت أبدا لا فى الدنيا ، ولا فى الآخرة لما دل ذلك على ما ادعوه؛ إذ لخصمهم أن يقول : إنما جاء ذلك من قوله تعالى فى هذه القصة بعينها « ولا يتمنونه أبدا »(٢) فى ســورة الجمعة ، فلا هى التى اقتضت التأبيد لا لن وان استدلوا على أن لن للتــأبيد بقوله تعــالى : « فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا »(٣) و « لن يخلقوا ذبابا »(٤) عورضوا بقــوله تعــالى : « لا تأخــذه ســنة ولا نوم »(٥) « ولا يؤوده حفظهما »(٦) « ولا يدخلون الجنة حتى

---

(١) سورة الزخرف : ٧٧ .
(٢) سورة الجمعة : ٧ .
(٣) سورة البقرة : ٢٤ .
(٤) سورة الحج : ٧٣ .
(٥) سورة البقرة : ٢٥٥ .
(٦) سورة البقرة : ٢٥٥ .

يلج الجمل »(١) ونحو ذلك مما هو للتأبيد ، وقد استعملت فيه لا دون لن ، فدل مجموع ما ذكرناه على ما ادعيناه من أنهما لمجرد النفى ، والتأبيد وعدمه يستفادان من دليل غيرهما .

قال الحافظ أبو بكر البيهقى رحمه الله : ومما يدل على أن الله تعالى يرى بالأبصار قول موسى كليم عليه السلام « رب أرنى أنظر إليك » ولا يجوز أن يكون نبى من الأنبياء قد ألبسه الله جلباب النبيين ، وعصمه مما عصم منه المرسلين يسأل ربه ما يستحيل عليه ، وإذا لم يجز ذلك على موسى عليه السلام فقد علمنا أنه لم يسأل ربه مستحيلا ، وأن الرؤية جائزة على ربنا عز وجل .

قال : ومما يدل على ذلك قول الله عز وجل لموسى « فإن استقر مكانه فسوف ترانى » فلما كان قادراً على أن يجعل الجبل مستقراً كان قادراً على أن يرى نفسه عباده وأنه جائز رؤيته ، وقوله « لن ترانى» أراد به فى الدنيا دون الآخرة بدليل ما مضى(٢) .

---

(١) سورة الأعراف : ٤٠ .

(٢) انظر : الاعتقاد والهداية الى سبيل الرشاد للبيهقى ص ١٢٢ ، ١٢٣ .

وقال غيره : لما علق الله الرؤية باستقرار الجبل دل ذلك على جواز الرؤية ؛ لأن استقراره غير محال ، فدل على أن ما علق عليه من كون الرؤية غير محال أيضا ألا ترى أنه لما كان دخول الكفار الجنة لما كان مستحيلا علقه بشيء مستحيل وهو قوله « ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط » .

فصـــل

نقل الشيخ أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمى (١) رحمه الله فى كتاب حقائق التفسير (٢) عن

---

(١) هو محمد بن الحسين بن محمد بن موسى ، أبو عبد الرحمن السلمى النيسابورى ، من علماء المتصوفة ، وشيخ الصوفية ، وصاحب تاريخهم ، وطبقاتهم ، وتفسيرهم ، قال الذهبى : تكلموا فيه وليس بعمده .

وقال الخطيب البغدادى : قال لى محمد بن يوسف القطان النيسابورى : كان أبو عبد الرحمن السلمى غير ثقة ، وكان يضع للصوفية الأحاديث .

بلغت تصانيفه مائة أو اكثر منها : « حقائق التفسير » و « طبقات الصوفية » و « مقدمة فى التصوف » و « مناهج العارفين » و « الفرق بين الشريعة والحقيقة » و « كتاب الأربعين فى الحديث » .

ولد سنة ٣٢٥ هـ وتوفى سنة ٤١٢ هـ .

انظر : تاريخ بغداد للخطيب البغدادى ج ٢٤٨/٢ وميزان الاعتدال فى نقد الرجال للذهبى ج ٥٢٣/٣ تحقيق على محمد البجاوى والاعلام للزركلى ج ٣٣٠/٦ .

(٢) استوعب السلمى فى « حقائق التفسير » جميع سـور القرآن ولكنـه لا يتعرض لكل الآيات بل يتكلم عن بعضها ، وهو لا يتعرض فيه لظاهر القرآن ، وانما جرى فى جميع ما كتبه على نمط واحد وهو التفسير الاشارى .

وفى هذا المؤلف ترك للعلماء مجالا للطعن على هـذا التفسير وعلى صاحبه من أجله فالجـلال السيوطى يذكر أبا عبد الرحمن السلمى فى كتابه طبقات المفسرين ضمن من صنف فى التفسير من المبتدعة ويقول : « وانما اوردته فى هذا القسم لأن تفسيره غير محمود » . =

جماعة من الأولياء ألفاظا حسنة فى معانى هذه الآية فبعضهم قال : كان موسى عليه السلام غائبا عن طبع البشرية حتى استطاع المقام فى وقت الكلام والمناجاة ، فلما وجد حلاوة الكلام طلب الكشف فى الحال غائبا عن الحال .

وبعضهم قال : انبسط الى ربه فى معانى الرؤية لما ظهر عليه عز الكلام ، ولم ينطق بأناة ألا ترى أنه لما رجع إلى وصفه رجع إلى أوائل المقامات فقال : تبت إليك وقال فى قوله تعالى « لن ترانى ولكن انظر

= ويقول السبكى فى طبقات الشافعية : « وكتاب حقائق التفسير كثر الكلام فيه من قبل أنه اقتصر فيه على ذكر تأويلات ، ومحال للصوفية ينبو عنها اللفظ » .

وقال الحافظ الذهبى عن السلمى : « وله كتاب يقال له حقائق التفسير ، وليته لم يصنفه فانه تحريف وقرمطة » .

وقال أبو الحسن الواحدى : « صنف أبو عبد الرحمن السلمى حقائق التفسير ، فان كان اعتقد أن ذلك تفسير فقد كفر » .

وقال الامام ابن تيمية : « وما ينقل فى حقائق السلمى من التفسير عن جعفر الصادق عامته كذب على جعفر كما قد كذب عليه فى غير ذلك » .

انظر : التفسير والمفسرون د . محمد حسين الذهبى جـ ٢ ص ٣٨٥ ، ٣٨٦ .

وطبقات المفسرين لجلال الدين السيوطى ص ٩٨ ، وطبقات الشافعية للسبكى جـ ٣ ص ٦١ ، ومنهاج السنة النبوية فى نقض كلام الشيعة والقدرية لابن تيمية جـ ٤ ص ١٥٥ .

الى الجبل » شغله بالجبل ، ثم تجلى ، ولو لم يشغله بالجبل لمات وقت التجلى .

وقال آخر : قوله لموسى « لن ترانى » لو تركه على ذلك لتقطع شوقا ، لكنه سكنه بقوله : « ولكن» .

وقال آخر : الجمال ، والكرم يبقيان ، والاجلال، والهيبة يفنيان ، كما أن الله تعالى كلم موسى بصفة الهيبة ، وتجلى للجبل فصار دكا ،وخر موسى صعقا ، وكان آخر عهده بالنساء . ولم يتهيأ لأحد أن ينظر فى وجهه .

وقال بعضهم : ينال الكون من صفاته ونعوته على قدر احتمالهم .

قلت : ولأبى القاسم الزمخشرى فى تفسير هذه الآية كلام طويل على طريقة أقوال المعتزلة التى تقدمت، ثم قال : فانظر إلى إعظام الله أمر الرؤية فى هذه الآية ، وكيف أرجف الجبل بطالبيها ، وجعله دكا ؟ وكيف أصعقهم ولم يخل كليمه من نفيان ذلك مبالغة فى إعظام الأمر ، وكيف سبح ربه ملتجئا إليه ، وتاب من إجراء تلك الكلمة على لسانه وقال : أنا أول المؤمنين (١) وقد

---

(١) انظر : الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل للزمخشرى المجلد الثانى ص ١٥٥

أبلغ فى الرد عليه جميع ما قاله شيخنا أبو الحسن على ابن محمد رحمة (١) فى تفسيره ، ووصف كلامه بأن قال : لقد صعد الزمخشرى فى هذه المسألة إلى الجو ، ونزل إلى الدو (٢) ولم يترك فى كنانة الضلال سهما إلا رمى به ولا وزرا من المحال إلا ذبحنا به ، ثم ألقى زمامه بيد الحيرة ، وجعل يسلك طريقا ثم يدعه ، ويسلك غيره ، ومن تدبر كلامه رأى كلام من اختلط حسه ولامته على ما أورده نفسه ، وشرع فى نقص كلامه حرفا حرفا

---

(١) هو على بن محمد بن عبد الصمد الهمدانى المصرى السخاوى الشافعى ابو الحسن علم الدين ، عالم بالقراءات، والأصول ، واللغة والتفسير ، أصله من سخا بمصر سن دمشق وتوفى بها ودفن بقاسيون من كتبه « جمال القراء وكمال الاقراء » فى التجويد و « هداية المرتاب » فى متشابه كلمات القرآن مرتبة على حروف المعجم و « شرح المفصل للزمخشرى » و « المفاخرة بين دمشق والقاهرة » و « سفر السعادة » و « شرح الشاطبية » وهو أول من شرحها وكان سبب شهرتها و « الكوكب الوقاد » فى أصول الدين و « الجواهر المكللة » فى الحديث ولد سنة ٥٥٨ هـ وتوفى سنة ٦٤٣ هـ .

انظر : وفيات الاعيان لابن خلكان ج ٣٤٥/١ والاعلام ج ١٥٤/٥ وبغية الوعاة للسيوطى ص ٣٤٩ .

(٢) الدو : الفلاة او المفازة (القاموس المحيط ج ٣٣١/٤) .

ثم قال الزمخشرى تعجب من المتسمين بالإسلام المتسمين بأهل السـنة والجماعة كيف اتخذوا من هـذه الكلمة مذهبـا ، ولا يغرنك تسترهم بالبلكفة ، فإنه من منصوبات أشياخهم ، والقول ما قال بعض العدلية فيهم :

لجماعة سموا هواهم سنة

وجماعة هم(١) لعمرى موكفة

قد شبهوه بخلقه وتخوفوا

شنع الورى فتستروا بالبلكفة(٢)

يريد قول أصحابنا : المؤمنون يرون ربهم يوم القيامة بلا كيف ، فعبر عن قولهم بلا كيف بالبلكفة ، فهو من باب البسملة ، والحمد له أى أن قولهم مفض الى التشبيه ، ويقولون بلا كيف على سبيل التستر .

والعدلية هم المعتزلة سموا أنفسـهم بذلك زاعمين أنهم نسبوا الله تعالى الى العدل حيث آخـذ العبـاد بما جنوه على أنفسهم ، ولم يجر به القضاء عليهم ، ووصفوا أصحابنا بأنهم نسبوا الجور إلى الله جل وعـلا

---

(١) المكتوب فى المخطوطة كلمة (حمر) بدلا من كلمة (هم) وهذا خطأ من الناسخ .

(٢) انظر : الكشاف عن حقـائق التنزيل وعيـون الأقاويل فى وجـوه التـأويل للزمخشرى المجلد الثـانى ص ١١٥ ، ١١٦ .

حيث اعتقدوا أنه قضى على الخلق بجميع ما يأتونه ، وأنه سبحانه معاقب لهم على ما قتضاه عليهم .

والحق مع أصحابنا ، فإن الله تعالى لا راد لما قضى ، ولا يقع فى مخلوقاته خوف مراده ، وله أن يفعل ما يشاء لا يقاس فعله بفعل خلقه .

وقد أجاب بعض أصحابنا عن هذين البيتين بمثلهما فقال :

عجبا لقوم ظالمين تلقبوا بالعدل

ما فيهـم لعمـرى معـرفة

قد جاءهم من حيث لا يدرونه

تعطيل ذات الله مع نفى الصفة (١)

---

(١) ذهبت المعتزلة إلى نفى صفات الله الأزلية كلها فقالوا انه ليس لله عز وجل علم ولا قدرة ، ولا حيـاة ، ولا سمع ، ولا بصر ، وقالوا : هو عالم بذاته ، قادر بذاته، حى بذاته لا بعلم وقدرة وحياة هى صفات قديمة ، ومعان قائمة به .

ويقولون ان الله تعالى لم يكن له فى الأزل اسـم ولا صفة .

انظر : الفرق بين الفرق لعبد القـاهر بن طـاهر بن محمد البغدادى ص ١١٤ ، والتبصير فى الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين لأبى المظفر الاسفرايني ص ٣٧ ، والملل والنحل للشهرستانى ج ١ ص ٤٤ تحقيق الأستاذ عبد العزيز محمد الوكيل .

وقال آخر :

وجماعة كفروا برؤية ربهم
هذا ووعد الله ما لن يخلفه

وتلقبوا عدليـــة قلنا أجــل
عــدلوا بربهم فحسبهم سفه

قلت : وتعطيلهم لذاته من حيث نفى قيام صفاتها بها من الحياة ، والعلم ، والإرادة ، والقدرة ، والسمع ، والبصر ، والكلام ، ونفوا مع ذلك صفة الرؤية (١) وهى كونه سبحانه مرئيا للمؤمنين فى الدار الآخرة .

ولشيخنا أبى الحسن رحمه الله فيهم :

يا فرقة زعمت بأن العبد مثل
إلهه ما شـــاء من شىء فعــل

وسموا بأهــل العــدل أنفسهم
وكل عن طريق الحق منهم قد عدل

لمَ لا يُرى من غير كيف من يِرى
من غير كيف يا ذوى شر النحل

أى أن الرؤية لا تستحيل فى حقه سبحانه مع عدم الجهـــة ، كما أن الرائى لابد وأن يكون من المــرئى فى

---

(١) المراجع السابقــة نفس الصــفحات ، والملل والنحل ص ٤٥ .

جهة ، والبارى سبحانه راء ، وليس فى جهة . فكما جوز العقل رائيـــا ليس فى جهة كذلك يجوز مرئيا ليس فى جهـــة .

قال : ثم ان الاجماع قد وقع منـــا ومنهم على أنه سبحانه لا تدركه الأبصار فى الدنيا والألف واللام فى الأبصار للعهد أى هذه الأبصار المعهودة ، والتجلى للجبل لا يخلو أن يكون من جنس ما طلبه موسى ﷺ أو ليس من ذلك فمحال أن يكون من غير ما طلبه ؛ لأن موسى ﷺ يعلم أن الله تعالى قادر على أن يسير الجبال كلها ، ويطوى السموات والأرض فى أوهى زمان ، وإنما أراد عز وجل أنك لا تطيق ما طلبت ، ولا تستطيع رؤية ما أردت ، وهذا الجبل الذى هو أقوى منك خلقـــا ، وأعظم جرما لا يستقر لذلك .

قال : فهذا دليل واضح على أن الرؤية ممكنة ، وإنما امتنعت مـــن ضعف الرائى وعجزه عن ذلك ، فإذا كان فى القيامة أوجد الرائى على خلاف ما هو عليه فى الدنيا ، فرأى فى الآخرة ما كان لا يستطيع رؤيته فيها .

قال : وهؤلاء القوم ما قدروا الله حق قدره فزعموا أنهم نزهوه ، وليس بمنزه الله من لم يقدره حق قدره .

قال : وأما قوله : ولا يغرنك تسترهم بالبلكفة ، وما أورده فى بيتيه القائلين أقبح القول وأسخفه ، فقد

أوردناه فى جوابه ما يعرفك به وبأصحابه أتم المعرفة فقلت :

لا درَّ درُّ عصابة مخذولة مثل البها
ئم والبهـــائم مهمـــــلة
جعلوا مقام المؤمنين ككافر من
دونه ضَرب الحجاب وأســـبله
أوماتلوا ما فى القيامة(١) والذى فى
ســـورة التطفيف (٢) مما أنـــزله
وردوا الحديث المستنير وكذبوا من
قـــد رواه وجرحـــوا من عـــدله
يسمون أهل الحق مجبرة وما
زادوا على ما قد تلاه وضله
إذ جف بالقلم المداد وإذ جرى
بالكائنات وخط ما حُـــدَّ لـــه
والعبد يفعل ما يشاء بزعمهم
وله إذا ما شـــاء أن لا يفعله
واستقبحوا شركا أتوه فستروا
وجه الفضيحة باعتلال المعـــدلة

(١) يعنى بذلك قوله تعالى « وجـــوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة » سورة القيامة : ٢٢ ، ٢٣ .
(٢) يعنى بذلك قوله تعالى « على الأرائك ينظرون تعرف فى وجوههم نضرة النعيم » سورة المطففين : ٢٣ ، ٢٤

أو ظالم متصرف فى ملكه هذاك

افقـره وهــذا خــولَّه

والمؤمن العاصى له فى زعمهم

نــار الخلود يديمها من أدخله

جحدوا شفاعة أحمدٍ والله قــد

أعطاه منزلة الشفيع وفضله

عدلوا عن المثلى فسمُّوا فى الورى

عدليــة ولهم نفــاذ من البله

لم تشتمل أثوابهم الا على حمر

وكم حمــرٍ رأيت مجللــة

قلت : ثم نظمت هذه الأبيات :

قالل الرسول ترون ربكم وفى التن

زيل ناظـرة وجـوه نـاضرة

من غير تشبيه فآمنا به ونفــاه

قــوم ذو عقــولٍ حـائرة

وتلقبوا بالعدل من باب العدول

عن الصواب فلا لعا (١) للعاثرة

---

(١) يقال للعاثر (لعا) لك وهو دعاء له بأن تنعش فاذا قال لا لعا للعاثرة كان دعاء عليهم بألا ينتعشوا .

انظر : مختار الصحاح .

فصـــل

فى جملة من شبه المعتزلة غير ما تقدم والجواب عنها

قال الإمام أبو المعالى : ومما احتجوا به قــوله تعالى : « فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة » (١) .

ووجه الدليل على زعمهم أن الله تعالى وبخ الذين سألوا رؤية الله تعالى ، وجعل سؤالهم كبيرة ، ولو كان ذلك جائزا ممكنا لما استوجب السائلون ذلك .

قال : وهـــذا ركيك من الاستدلال ، وأول ما فى الآية ان الله تعالى ذكر سؤال قريش آيات ممكنة جائزة مقدورة كاخراج ينبوع ، وكالرقى فى السماء .

قلت : كذا قال ، وليس أول الآية هذا ، إنما أول الآية « يســألك أهل الكتــاب أن تنزل عليهم كتــابا من السماء » وما ذكره أبو المعالى فقد سألته قريش وهو

(١) سورة النساء : ١٥٣ .

فى سورة سبحان (١) ثم قال • وكل ذلك من المقدورات لو أراد الله تعالى ، ثم قال : فقد سألوا موسى أكبر من ذلك ، والتفاضل لا يقع إلا بين جائزين ممكنين أحدهما أكبر من الآخر ، ثم السائلون استوجبوا التقريع من وجهين :

أحدهما : أنهم تحكموا على نبيهم بعد وضوح الآيات ، وظهور المعجزات ، وليس للأمم التحكم على أنبيائها فى اقتراح الآيات ، وما اقترحت أمة آية إلا أعنتهم الله بها ، والذى يوضحه أن الله تعالى كما وبخ هؤلاء وبخ من سأل النبى ﷺ الرقى فى السماء وان كان ذلك ممكنا جائزا •

قال : ومما يسقط استدلالهم أن الذين سألوا الرؤية من بنى اسرائيل علقوا إيمانهم بها • وامتنعوا من الإيمان دونها ، وهذا كنه الاعتداء ، وغاية العناد

---

(١) فى قولة تعالى « وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا ، أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا ، أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتى بالله والملائكة قبيلا ، أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى فى السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربى هل كنت الا بشرا رسولا » سورة الاسراء : ٩٠ — ٩٣ •

وقد قال الله تعالى مخبرا عنهم : « لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة » (١) .

وقال القاضى أبو بكر : لم ينكر الله سبحانه مسئلة أخلاف بنى اسرائيل أن ينزل عليهم كتابا من السماء ، ولا مسئلة أسلافها أن يروا الله جهرة لاستحالة ذلك ، وإنما أنكره لأنهم سألوا ذلك على طريق الإعنات لموسى ومحمد ﷺ ، والشك فى نبوتهما والتقدم بين أيديهما ، والامتناع من فعل ما أوجب عليهم من الإيمان بالله تعالى حتى يروه ، ويعاينوه ، وحتى يفعل ما يؤثرونه ، ويفتاتونه فأنكر الله سبحانه ذلك من فعلهم وقولهم ، كما أنكر سؤالهم إنزال كتاب من السماء لا لاستحالة ذلك فى قدرته ، وكما أنكر قول من قال « لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا » الى قوله : « أو ترقى فى السماء ولن نؤمن لرقيك » ؛ لأن هذا أجمع إنما كان منهم على وجه الاستخفاف بالرسل ، والتمرد عليهم لا على طلب اليقين والزيادة فى العلم (٢) .

وقال الزمخشرى فى قوله تعالى بعد ذلك « فأخذتهم الصاعقة بظلمهم (٣) أى بسبب سؤلهم الرؤية ، ولو طلبوا

---

(١) سورة البقرة : ٥٥ .

(٢) انظر : كتاب التمهيد لأبى بكر محمد بن الطيب الباقلانى ص ٢٧٣ .

(٣) سورة النساء : ١٥٣ .

أمر جائزاً لما سموا ظالمين ، ولما أخذتهم الصاعقة كما سأل ابراهيم ﷺ أن يريه إحياء الموتى فلم يسمه ظالما ولا رماه بالصاعقة (١) .

قلت : إنما سماهم ظالمين بسبب ما ذكرنا من تعنتهم وتمردهم ، واستهزائهم على ما سبق شرحه .

قال القاضى : فإن قالوا : ما أنكرتم من أنه لو رئى بالأبصار لوجب أن يكون جسما ، أو جوهرا . أو عرضا، أو محدودا ، أو حالا فى محدود ، أو مقابلا ، أو مقابل المكان ، أو مباينا أو مباين المكان ، أو متصلا به الشعاع ، أو متصلا بمكانه وأن يكون من جنس المرئيات ؛ لأننا لم نعقل مرئيا إلا كذلك .

يقال لهم : لو وجب هذا لوجب إذا كان معلوما بالقلوب وموجودا أن يكون جسما ، أو جوهرا ، أو عرضا ، وفى العالم أو غيره من الأماكن ، أو ما يقدر تقدير الأماكن ، لأننا لم نعقل معلوما إلا كذلك ، وإذا كان شيئا لا يخلو أن يكون جسما ، أو جوهرا ، أو عرضا وإذا كان حيا عالما قادرا سميعا بصيرا أن يكون جسما مجتمعا ذا حيز فى الوجود ؛ لأننا لم نعقل حيا عالما قادرا رائيا إلا كذلك ،

---

(١) انظر الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل للزمخشرى ج ١ ص ٥٨٥ .

فإن مروا على هذا تركوا التوحيد ، وإن أبوه ابطلوا جميع ما سألوا عنه [١] .

وقال الشيخ أبو حامد الغزالى [٢] : الرؤية نوع كشف ، وعلم إلا أنه أتم وأوضـــح من العلم فإذا جاز تعلق العلم به وليس فى جهة جاز تعلق الرؤية به ، وكما يجوز أن ترى الله الخلق وليس فى مقابلتهم جاز أن يراه الخلق من غير مقابلة ، وكما جاز أن يعلم من غير كيفية ، وصورة جاز أن يرى كذلك من غير كيفية وصورة، وليت شعرى كيف عرف المعتزلى من صفة رب الأرباب ما جهله موسى بزعمه ؟

أم كيف سأل موسى الرؤية مع كونها محالا ؟

قال القاضى : فإن قالوا ما أنكرتم أنه لو جاز أن يرى لرأيناه الساعة ؛ لأن الموانع المانعة من رؤية ما يجوز

---

(١) انظر : كتاب الانصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به للقاضى الباقلانى ص ١٨٧ ، ١٨٨ . تحقيق الشيخ محمد زاهد الكوثرى مؤسسة الخانجى الطبعة الثانية ١٣٨٢هـ - ١٩٦٣ م .

(٢) هو ابو حامد محمد بن احمد الغزالى ولد فى طوس سنه ٤٥٠ هـ من أسرة فارسية .

ومن أشهر ما كتبه فى الدين والأخلاق والتصوف كتاب « احياء علوم الدين » . وتوفى سنة ٥٠٥ هـ .

انظر : وفيات الأعيان لابن خلكان جـ ١/٤٦٣ ، وطبقات الشافعية للسبكى جـ ٤/١٠١ والاعلام للزركلى جـ ٧/٢٤٧ .

أن يرى منتفية عنه وهى : الرقة ، واللطافة ، والحجاب ، والبعد وذلك مستحيل على الله جل ذكره ، فوجب أن نراه لو كان مما يجوز أن يرى .

يقال لهم : ليس فيما ذكرتموه شىء يمنع من رؤية المرئى ؛ لأننا نرى اللطيف مع لطافته عند زيادة الإدراك، ونرى البعيد مع بعده ، ونرى المحجوب إذا قوى الإدراك وزاد الشعاع فانفذ خروقه . والمحتضر بالموت يرى ملك الموت ونحن لا نراه وان كنا بحضرته ، وكذلك الرسول عليه السلام كان يرى جبريل عليه السلام والصحابة لا يرونه ، وكذلك الملائكة يرى بعضهم بعضا مع رقتهم ونحن لا نراهم (١) .

وما منع من رؤية الشىء لا يقال : يجوز أن يقارن الرؤية له فوجب الا يكون فيما ذكرتموه شىء يمنع من رؤية المرئيات ، كما أن الجهل المانع من العلم بالشىء لا يجوز أن يقارنه بحال .

فإن قالوا : فما المانع من رؤية هذه الأمور ؟

قيل لهم : وجود ما يضاد ادراكها فى أبصارنا ،

---

(١) انظر : الانصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به للباقلانى ص ١٨٨ ، ١٨٩ .

ولو رفعه الله جل وعز أدركناها وهذا المانع هو الذى يمنع من رؤية الله تعالى فى هذا الوقت(١) .

فإن قالوا : فأجيزوا أن يخلق الله فيكم إدراك ذرة ، ويمنعكم إدراك فيل الى جنبها .

قيل لهم : هذا جائز فى قدره الله تعالى(٢) .

فإن قالوا : فأجيزوا الساعة ذلك ، وشكوا فى أن بحضرتكم فيلة ، وجمالا ، وأنهارا جارية ، وأنتم لا ترون ذلك ، وإن كنتم ترون ما هو أصغر منه .

قيل لهم : لولا أنا مضطرون إلى العلم بأن ذلك ليس بموجود لأجزناه ، وليس يجب أن نشك اليوم فى أن الله تعالى قد فعل كل فعل مقدور عنده ، كما لا يجب أن نشك فى أنه قد خلق اليوم إنسانا لا من أبوين ، وفرسا لا من نتاج ، ونارا غير محرقة بشىء ، وتمرا لا من نخيل ، ولبنا لا من ضرع ، وأنه قد أحيى الأموات بسائر الأقطار ، وعرج بنا البارحة إلى ملكوت السماوات ، ثم ردنا إلى مضاجعنا وأنه قد أمات كل من فارقناه يوما أو ساعة من أقاربنا ، وأصدقائنا ألف مرة ثم أحياه بعد

---

(١) المرجع السابق ص ١٨٩ .
(٢) المرجع السابق نفس الصفحة .

ذلك ، وإن كان ذلك أجمع مقــدورا الله سبحانه فبطل بذلك ما سألتم عنه [١] .

قال الإمام أبو المعالى : ومما يتمسكون به فى روم القدح فى الاستدلال بقوله تعالى : « إلى ربها ناظرة » .

أنهم قالوا : ليس النظر وان عدى بإلى من الــرؤية والإدراك بسبيل ، وإنما النظر تحديق الناظر إلى جهــة المنظور إليه ، وتوجيهه حــاسته إليــه ، وليس المراد به الرؤية .

واستدلوا على ذلك بأوجه منها :

أنهم قالوا : قد يقول القائل : نظرت الى الهــــلال فلم أره ، فلو كان النظر يراد به الرؤية لكان ذلك من متناقض الكلام ، ولكان ينزل منزلة قول القــائل : رأيت الهلال فلم أره .

قالوا : ومن الدليل على ذلك حسن قول القائل : نظرت الى فلان فرأيته ، وهذا يتضمن خروج النظر عن معنى الرؤية ، وإنباؤه عن مقدماتها ، وأسبابها الموصــلة إليهــا .

---

(١) انظر : الانصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به للباقلانى ص ١٩٠ .

قال : ومما تمسكوا به فى ذلك أن قالوا : العرب تصف النظر بالتحديق ، والخضوع والإزورار [١] وغيرها من الوجوه ، وإنما تصف العرب ما ترى ، وتبصر ، فدل ذلك على أنهم عنوا بالنظر تقليب الحاسة ، وترديدها فى الجهـات .

قلنا : هذا الذى ذكرتموه لا محصول له ؛ وذلك أن النظر المعدى بإلى هو الرؤية الحقيقية بلا خفاء ، وكل ما ذكرتموه تمويهات .

فأما قولهم : إن العرب تقول : نظرت الى الهلال فلم أره ، فهذا اختلاق منهم ، وتخرص وادخال فى اللغة ما ليس منها ، وافتراء على أهل اللسان .

والعرب لا تقول : نظرت الى الهـلال فلـم أره ، وإنما تقول : إلى السماء ، أو إلى الغرب فلم أر الهلال ، وأما قولهم : نظرت فرأيت فهذا غـير بعيـد ، ومسلكه مسلك التأكيد والعرب قد توالى بين لفظتين منبئتين عن معنى واحد ، ونظائر ذلك كثيرة فى اللغة .

قال امرؤ القيس : كجامود صخر حطه السيل من عل

---

(١) الازورار مأخوذ من : ازور عن الشيء اى عـدل عنه وانحرف .

انظر : القاموس المحيط جـ ٢ ص ٤٤ وانظر مختـار الصحاح ص ٢٧٨ .

فأضاف الجلمود الى الصخر ، وهما بمعنى واحد .

والدليل عليه أنه يحسن أن يقول القائل : أدركته فرأيته ، وإن كانا جميعا يرجعان إلى معنى واحد ، وإنما لا يحسن قول القائل : رأيته فرأيته ؛ لتماثل اللفظين والأغلب فى كلام العرب إذا قصدت التأكيد المغايرة بين الألفــاظ .

قلت : ولئن سلمنا أن العرب تقول نظرت الى الهلال فلم أره ، فإنما معناه : نظرت الى جهة الهلال ، وموضعه ، ومطلعه ، وفطنة ظهــوره ، وكذا قولهم : نظرت فرأيت أى نظرت الى وجهة كذا فرأيته فهذا تأويل صحيح .

قال : وأمــا قولهم إن العــرب أطنبت فى وصف النظر نظما ونثرا ، وذكرت التحديق والنظر شــزرا[1] فذلك من ركيك الكلام ؛ فإنه لا يبعــد وصــف الرؤية الحقيقية بما ذكروه ، ولا معنى لقولهم إن العرب لا تصف إلا ما ترى ، فإنها كما تصف المرئيات تصف ما لا يرى فى استمرار العادات كالشجاعة ، والبسالة ، والجبن ، والبر والعقوق ، والشوق ، ونحوها .

---

(١) تقول : نظر اليه (شزرا) وهو نظر الغضبان بمؤخر عينه (مختار الصحاح ص ٣٣٧) .

ثم نقول : هذا الذى تشبثتم به يعارضه فن من كلام العرب لا يمنع ولا يدفع وذلك أنهم يصفون النظرة فى النسيب (١) ، والتشبيب (٢) بأنها تأتى على الواقعين (٤) العاشقين ، فهذا ونحوه يدل على أن النظر هو الرؤية الحقيقية .

قال ومن الدليل على ذلك إجماع المسلمين على أن الله تعالى يوصف بالنظر الى خلقه على معنى الإبصار ، والرؤية ، فيقال : الله ناظر الى خلقه ، كما يقال إنه راءلهم وما عد أحد من الإسلاميين لفظ النظر فى حكم ما ورد له سبحانه وتعالى من الألفاظ المأولة المشكلة كالمجيء ، والنزول ، والاستواء ونحوها فبطل ما صاروا إليه من كل وجه .

---

(١) النسيب : أثر الحب وتبريح الصبابة فيما يبثه الشاعر من الشكوى وما يصفه من التجنى ، وما يعرض له من ذكر محاسن النساء .

(٢) والتشبيب : هو ما يقصد اليه الشاعر من ذكر المرأة فى مطالع الكلام ويذكر أحيانا ما يحاول المتيمون من العشاق ستره من المحبوبة كالوعد واللقاء ، واكثر الناس لا يفرقون بينهما وأحدهما يخالف الآخر .

انظر : الأدب العربى وتاريخه فى العصر الجاهلى للأستاذ محمد هاشم عطية ص ١١٠ ، ١١١ .

(٣) الوامقين : المحبين (القاموس المحيط ج ٣ ص ٣٠٠)

قال : ثم ما ذكرناه تكلف نحن عنـــه مستغنون ؛ فإنهم إذا حملوا النظر على التحديق ، وتقليب الحاسة فقد خرقوا إجماع نفاة الرؤية ، ومثبتيها جميعا ؛ فإن مثبتى الرؤية حملوا النظر فى الآية على الرؤية تحقيقا ، ومن نفى الرؤية ظنا منه أنها تقتضى تشبيها وتشكيلا ، ومقابلة ، واختصاصا بجهة فهو بمنع حمل النظر على التحـــديق الى الرب أولى ؛ فإن ذلك يتضمن — على زعمهم — التصريح بالجهة ، فلا وجه لما ذكروه إلا أن يقدروا منظورا إليه غير الإله ، وقد تقدم إبطاله .

قلت : النظر والرؤية واحد إذا عدى بإلى ، ولهذا قال الفرزدق :

قياما ينظرون الى سعيد كأنهم يرون به هلالا

فجمع بين النظر والرؤية ، ولم يقل كأنهم ينظرون دل (١) بمعناه .

ولئن سلمنا أن النظر يجوز إطلاقه على غير الرؤية، فقد بين الله تعالى ماذا أراد بالنظر على لسان نبيه ﷺ المبين عنه ما أنزل عيه بقوله : « إنكم سترون ربكم » على ما سبق من الأحاديث الصحيحة .

---

(١) سقطت من الناسخ بعض كلمات ، وسياق الكلام يشير الى أن مراد المؤلف أن يثبت ان النظر اذا عدى بالى فانه يكون بمعنى الرؤية .

فصـــل

فى جواز رؤية الله تعالى فى الدنيا بالأبصار

قال الأستاذ أبو القاسم القشيرى رحمه الله تعالى فى رسالته فى باب إثبات كرامات الأولياء فإن قيل فهل تجوز رؤية الله بالأبصار اليوم فى الدنيا على جهة الكرامة فالجواب عنه أن الأقوى فيه أنه لا يجوز لحصول الإجماع عليه .

قال : ولقد سمعت الإمام ابن فورك يحكى عن أبى الحسن الأشعرى أنه قال فى ذلك قولين فى كتاب الرؤية الكبير (١) .

وقال الإمام أبو القاسم الأنصارى (٢) فى كتاب

---

(١) انظر : الرسالة القشيرية لأبى القاسم عبدالكريم ابن عبد الملك القشيرى ص ١٧٥ .

(٢) هو سلمان بن ناصر بن عمران أبو القاسم الأنصارى النيسابورى ، الفقية ، الصوفى ، صاحب امام الحرمين الجوينى كان بارعا فى الأصول والتفسير ، شرح « الارشاد فى اصول الدين » لشيخه ، وخدم ابا القاسم القشيرى مدة ، وكان صالحا زاهدا عابدا اماما عارفا من افراد الأئمة ، ومن كبار المصنفين فى علم الكلام ، سمع الحديث من ابى الحسين بن مكى ، وفضل الله ابن احمد الميهنى ، وكريمة المرزوية ، وعبد الغافر الفارسى وغيرهم ، وروى عنه ابن السمعانى اجازة ومن مؤلفاته كتاب « الغنية » توفى سنة ٥١١ هـ .

انظر : طبقات المفسرين للسيوطى ص ٥٢ ، وشذرات الذهب لابن العماد جـ ٣٤/٤ وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى جـ ٩٦/٧ .

شرح الإرشاد : اعلم أنا لو خلينا وعقولنا لجوزنا رؤية الله فى الدنيا والعقبى لكل أحد من الأحياء إلا أنه ورد السمع بخلاف ذلك ، والمرجع فيه إلى السمع .

قال : ولو ادعى بعض الأولياء اليوم أنه رأى الله تعالى هل يصدق أم لا ؟ .

اختلف قول أبى الحسن فى ذلك فقال مرة : لا يصدق ؛ لأن موسى ﷺ حجب عن الرؤية .

وقال مرة : يصدق ؛ فإن موسى وإن حجب ، ولم يجب إلى ما سأل فلقد خصص بأنواع من الكرامات والقربات ، والاصطفاء والفضائل ما لعله يربى ويزيد على الرؤية لأن الرؤية من حيث إنها رؤية لا تقتضى كرامة، وإنما الكرامة فى قرائنها ، فقد يقترن بالرؤية أعظم هول ومخافة كمن يرى العدو . والسبع ، فإنه يخلق له عند إياهما أمور هائلة ، وكراهية شديدة، وقد يرى صديقه فيخلق له عند رؤيته إياه أكمل سرور، وأتم نعمة ولذة ، ويرى أمه فيجد فى قلبه رحمة وشفقة وحرمة ، ويرى أباه فيجد عند ذلك تعظيما وهيبة ، فإذا تختلف أحوال الرائين بالقرائن .

قال : ونحن لا نبعد أن يرى الكافر ربه ويخلق له عند رؤيته أعظم هول ومخافة ، وأشد عقوبة [١] •

قال : وإنما نحن الأصفيان الى رؤية الله تعالى ؛ لما قد ورد فى الأخبار أنه يخلق لهم عند ذلك أتم كرامة ، وأكمل سرور ، وأعظم قربة ، واشرف منزلة ونعمة •

رزقنا الله ذلك بمنه وفضله •

قال : واختلفوا فى أنه سبحانه هل يرى فى المنام ؟

فجوزه معظم المثبتة ، وامتنع منه آخرون •

قال : ولا فائدة فى الاختلاف فى ذلك ؛ فإن الرؤيا خواطر ، واعتقادات ، ولها تأويل صحيح ، وهكذا نقول فى قول النبى ﷺ « من رآنى فى المنام فقد رآنى فإن الشيطان لا يتمثل بى »[٢] •

---

(١) قال الحسن فى تفسير قوله تعالى « كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون » يكشف الحجاب فينظر اليه المؤمنون والكافرون ، ثم يحجب عنه الكافرون . انظر مختصر تفسير ابن كثير المجلد الثالث ص ٦١٥ .

ولا ريب أن رؤية الكافرين لله ثم حجبهم عن رؤيته بعد ذلك من أشد العقوبات التى يعاقبهم الله بها فى الآخرة .

(٢) رواه الترمذى فى الرؤيا باب (ما جاء فى قول النبى ﷺ من رآنى فى المنام فقد رآنى) حديث رقم ٢٢٧٦ .

وقد يرى فى وقت واحد فى أماكن مختلفة وعلى صور متباينة ، ولكن المعنى له تأويل صحيح •

وقال الغزالى : اعلم أن الخلاف فى هذا غير متصور بعد الكشف عن حقيقة هذه المسألة والحق أنا نطلق القول بأن الله تعالى يرى فى المنـــام كما نطلق أنه يرى رسول الله ﷺ فى المنام ، ثم أخذ فى تقرير ذلك رحمه الله •

قلت : والذى نختاره القول الأول من قولى أبى الحسن وهو أنه لا يصدق مدعى رؤية الله تعالى فى الدنيا يقظة ؛ فإن شيئا منع منه كليم الله موسى ﷺ واختلف فى حصوله لنبينا محمد ﷺ كيف يسمح به لمن لا يصل الى مقامهما ، هذا مع قوله تعالى : « لا تدركه الأبصار » وقد حمله أصحابنا كما تقـــدم على أن ذلك نفى للرؤية فى الدنيا •

وأما جواز رؤية الكافر ربه فقد سبق ما يدل على وقوع ذلك فى الآخرة وتكون رؤية هيبة وعقوبة له على ما قرره الإمام الأنصارى •

وقد تكلم أبو القاسم السهيلى فى شرح سيرة النبى ﷺ على ما جاء فى رؤيته الله تعالى فقال : قد تكلم العلماء فى رؤية النبى ﷺ لربه تعـــالى ليلة الإسراء

فروى مسروق عن عائشة أنها انكرت أن يكون رآه ، وقالت : من زعم أن محمدا رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية ، واحتجت بقوله سبحانه « لا تدركه الأبصار »[١]

وفى مصنف الترمذى عن ابن عباس ، وكعب الأحبار أنه رآه .

قال كعب : ان الله قسم رؤيته وكلامه بين موسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم [٢] .

وفى صحيح مسلم عن أبى ذر قلت يارسول الله هل رأيت ربك ؟ قال « رأيت نورا »[٣] .

وفى حديث آخر من كتاب مسلم قال : « نور أنى أراه » [٤] .

---

(١) انظر : الروض الأنف فى شرح السيرة النبوية للسهيلى جـ ٣ ص ٤٤٥ .
(٢) المرجع السابق نفس الصفحة .
(٣) المرجع السابق نفس الصفحة .
وانظر : صحيح مسلم باب (فى قوله ﷺ : نور انى أراه وفى قوله : رايت نورا) حديث رقم ٢٩١ .
(٤) انظر : الروض الأنف فى شرح السيرة النبوية للسهيلى جـ ٣ ص ٤٤٥ .

وقد علق الامام النووى على هذا الحديث والذى قبله بما يفيد ان الرسول ﷺ لم ير الله تعالى ليلة الاسراء فقال :

قال السهيلى (١) وليس فى هــذا الحديث بيــان شاف أنه رآه .

وقد حكى عن ابى الحســـن الأشعرى أنه قال : رآه بعينى رأسه .

أما قوله ﷺ (نور أنى اراه) فهو بتنوين نور ، وبفتح الهمزة فى أنى وتشديد النون وفتحها ، وأراه بفتح الهمزة هكذا رواه جميع الرواة فى جميع الأصول والروايات ، ومعناه : حجابه نور فكيف أراه ؟ ..

قال الامام ابو عبد الله المازرى رحمه الله : الضمير فى أراه عائد على الله سبحانه وتعالى ، ومعناه : أن النور منعنى من الرؤية كما جرت العادة باغشاء الأنوار الأبصار ومنعها من ادراك ما حالت بين الرائى وبينه ، وقوله ﷺ (رأيت نورا) معناه : رايت النور فحسب ولم أر غيره .

انظر : صحيح مسلم بشرح النووى ج ٣ ص ١٢ .

(١) هو عبد الرحمن بن عبد الله بن احمد الخثعمى أبو القاسم ، وأبو زيد السهيلى حافظ ، عالم : باللغة ، والتفسير ، والسير ، وصناعة الحديث ، عارف بالرجال والأنساب ، وعلم الكلام ، وأصول الفقه ولد فى مالقــة سنة ٥٠٨ هـ ، وعمى وعمره ١٧ سنة .

من كتبه : « الروض الأنف » فى شرح السيرة النبوية لابن هشام ، و « التعريف والاعلام فى ما ابهم فى القرآن من الأسماء والأعلام » و « الايضاح والتبيين لما ابهم من تفسير الكتاب المبين » و « نتائج الفكرة » و « رؤية النبى» و « مسألة رؤية الله فى المنام » و « الفرائض » . توفى سنة ٥٨١ هـ .

انظر : وفيات الاعيان ج ١٤٣/٣ والاعلام للزركلى ج ٨٦/٤ وتذكرة الحافظ للذهبى ج ١٣٤٨/٤ .

وفى تفسير النقاش (٢) عن ابن حنبل أنه سئل هل رأى محمد ربه ؟ فقال : رآه رآه رآه . حتى انقطع صوته .

وفى تفسير عبد الرزاق (٣) عن معمر عن الزهرى، وذكر إنكار عائشة أنه رآه فقال الزهرى : ليست عائشة أعلم عندنا من ابن عباس .

---

(٢) هو محمد بن الحسن بن محمد زياد بن هارون الموصلى ، ثم البغدادى أبو بكر النقاش المقرىء المفسر كان امام أهل العراق فى القراءات والتفسير .
وصنف : التفسير وسماه « شفاء الصدور » و «الاشارة فى غريب القرآن » و « الموضح فى معانى القرآن » و « دلائل النبوة » و « القراءات » وغيرها من الكتب .

ومع جلالته فى العلم ونبله فهو ضعيف متروك الحديث قال الذهبى : مشهور أتهم بالكذب ، وقد اتى فى تفسيره بطامات ، وفضائح وهو فى القراءات أمثل .
وقال الخطيب : فى حديثه مناكير بأسانيد مشهورة ، ولد سنة ٢٦٦ هـ وتوفى سنة ٣٥١ .
انظر : شذرات الذهب لابن العماد جـ ٣/٨ ، وطبقات المفسرين للسيوطى ص ٩٤ وتذكرة الحافظ للذهبى جـ ٣/٩٠٨ .

(٣) هو عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميرى الصنعانى أبو بكر من حفاظ الحديث الثقات من أهل صنعاء طلب العلم وهو ابن عشرين سنة كان يحفظ نحوا من سبعة عشر الف حديث . قال أبو سعد ابن السمعانى : قيل ما رحل الى أحد بعد رسول الله ﷺ مثل ما رحل اليه ، صنف : « الجامع الكبير » فى الحديث . قال الذهبى: وهو خزانة علم ، وكتاب فى « تفسير القرآن » . =

وفى تفسير ابن سلام (١) عن عروة أنه كان إذا ذكر إنكار عائشة رضى الله عنها أن يكون النبى ﷺ رأى ربه يشتد ذلك عليه .

قال : وقول أبى هريرة فى هذه المسألة كقول ابن عباس أنه رآه .

روى يونس عن ابن اسحق عن داود بن الحصين قال سأل مروان أبا هريرة هل رأى محمد ربه ؟ قال نعم .

= ولد سنة ١٢٦ هـ وتوفى باليمن سنة ٢١١ هـ .
انظر : ميزان الاعتدال فى نقد الرجال للذهبى جـ ٦٠٩/٢ تحقيق على محمد البجاوى ، والأنساب للسمعانى جـ ٩٢/٨ ، ووفيات الاعيان لابن خلكان جـ ٢١٦/٣ والاعلام للزركلى جـ ١٢٦/٤ .

(١) هو محمد بن عبد الوهاب بن سلام بن خالد بن حمران بن أبان مولى عثمان بن عفان رضى الله عنه المعروف بالجبائى أبو على أحد ائمة المعتزلة ، كان اماما فى علم الكلام وأخذ هذا العلم عن ابى يوسف يعقوب بن عبد الله الشحام ، وله فى مذهب الاعتزال مقالات مشهورة ، وله تصانيف ، وتفسير ، اخذ عنه الشيخ أبو الحسن الأشعرى ، وابو هاشم ثم أعرض الاشعرى عن طريق الاعتزال ، وتاب منه ، ولد سنة ٢٣٥ هـ وتوفى سنة ٣٠٣ هـ .

انظر : وفيات الأعيان لابن خلكان جـ ٢٦٧/٤ تحقيق د . احسان عباس ، ولسان الميزان لابن حجر العسقلانى جـ ٢٧١/٥ ، وطبقات المفسرين للسيوطى ص ١٠٢ .

وفى رواية يونس أن ابن عمر أرسل الى ابن عباس يسأله : هل رأى محمد ﷺ ربه ؟ فقال نعم رآه ، فقال ابن عمر وكيف رآه ؟ فقال ابن عباس كلاما كرهت أن أورده بلفظه ؛ لما يوهم من التشبيه . ولو صح لكان له تأويل والله أعلم (١) .

قال السهيلى : والمتحصل من هذه الأقوال أنه رآه لا على أكمل ما تكون الرؤية على نحو ما يراه فى حظيرة القدس عند الكرامة العظمى ، والنعيم الأكبر ، ولكن دون ذلك .

قال : والى هذا يومىء قوله « رأيت نورا » و « نور أنى أراه » فى الرواية الأخرى والله أعلم (٢) .

قلت : وقد حققنا الكلام ان شاء الله تعالى فى هذه المسألة فى جزء رددنا به على بعض الحنابلة المتعصبين ، وبالله التوفيق .

---

(١) قال الدكتور محمد حسين الذهبى عن تفسير الجبائى (ابن سلام) لم يقع هذا التفسير لنا . انظر : التفسير والمفسرون ج ١ ص ٣٨٨ ، ولقد بحثت عنه فلم أعثر عليه .

(٢) انظر : الروض الأنف للسهيلى ج ٣ ص ٤٤٦ .

فصـــل

للامام أبى حامد الغزالى رحمه الله كلام حســن فى رؤية الله تعالى .

قال فى مخر كتاب الموت من كتاب الإحياء قال الله تعالى : « للذين أحسنوا الحسنى وزيادة »(١) .

وهذه الزيادة هى النظر الى وجه الله تعالى ، وهى اللذة الكبرى الذى ينسى فيها نعيم الجنة ، وقد ذكرنا حقيقتها فى كتاب المحبة ، وقد شهد لها الكتاب والســنة على خلاف ما يعتقده أهل البدعة ، ثم ذكر حديث جرير ، وصهيب رضى الله عنهما عن النبى ﷺ وقد تقدم ذلك ، ثم قال : وقد روى حديث الرؤية جماعة من الصحابة ، وهذه غاية الحسنى ، ونهاية النعمى ، وكل ما فصلناه من النعيم عنده ينسى (٢) ، وليس لسرور أهل الجنة عنــد سعادة اللقاء منتهى ، فلا ينسب شىء من الجنة الى لذة اللقاء ، فلا ينبغى أن تكون همة العبــد من الجنة شىء

---

(١) سورة يونس : ٢٦ .

(٢) هذا هو الموجــود فى المخطوطة والصــواب « وكل ما فصلناه من التنعيم عند هذه النعمة ينسى » .
انظر : احياء علوم الدين للغزالى ج ٤ ص ٥٤٣ .

سوى لقاء المولى ، فأما سائر نعيم الجنة فإنه يشارك فيه البهيمة المسرحة فى المرعى (١) •

وقد قيل ذلك فى كتاب المحبة ، وهو السادس من ربع المنجيات من كتاب إحياء علوم الدين بيان أن أجل اللذات وأعلاها معرفة الله تعالى ، والنظر الى وجهه الكريم وأنه لا يتصور أن يؤثر عليها لذة أخرى إلا من حرم هذه اللذات •

اعلم أن اللذات تابعة للادراكات ، ثم ساق الكلام الى أن قال : ألذ المعارف أشرفها ، وأشرفها بحسب شرف المعلوم ، فإن كان فى المعلومات ما هو الأجل والأكمل ، والأشرف ، والأعظم ، فالعلم به ألذ العلوم لا محالة ، وأشرفها ، وأطيبها ، وليت شعرى هل فى الوجود شىء أجل ، وأعلى ، وأشرف ، وأكمل ، وأعظم من خالق الأشياء كلها ، ومكملها ، ومزينها ، ومبديها ، ومعيدها ومدبرها ، ومرتبها ؟

وهل يتصور أن تكون حضرة فى الملك ، والكمال ، والجمال ، والبهاء ، والجلال أعظم من حضرة الربوبية الذى لا يحيط بمبادىء جلالها ، وعجائب أحوالها وصف الواصفين ثم أطال الكلام فى تقرير ذلك الى أن قال :

---

(١) انظر : المرجع السابق نفس الصفحة •

فهذا القــدر ينبهك على أن معرفة الله ســبحانه ألذ الأشياء ، وأنه لا لذة فوقها ، ولهــذا قال أبو سليمان الدارانى (إن لله عبادا ليس يشغلهم عن الله خوف النار ورجاء الجنة ، فكيف يشغلهم حب الدنيا عن الله ؟) (١).

ولذلك قال بعض اخوان معروف (٢) له أخبرنى

---

(١) انظر : احياء علوم الدين لابى حامد الغزالى جـ ٤ ص ٣٠٨ ، ٣١٠ .

(٢) هو معروف بن فيروز ، وقيل الفيرزان ، وقيل على الكرخى أبو محفوظ أحد اعلام الزهاد والمتصــوفين كان من موالى على بن موسى الرضـا ، وكان أبواه نصرانيين فأسلماه الى مؤدبهم وهو صبى فكان المؤدب يقول له قل ثالث ثلاثة فيقول معروف بل هو الواحد فضربه المعـلم على ذلك ضربا مبرحا فهرب منه ثم أسلم على يد على بن موسى الرضا ورجع الى أبويه فأسلما ، وكان يوصــف بأنه مجاب الدعوات وحكى عنه كرمات ، وأسند أحاديث يسيرة عن بكر بن حبيش ، والربيع بن صبيح وغيرهما ، وروى عنــه خلف بن هشــام النزار ، وزكريا بن يحيى المروزى ، ويحيى بن أبى طالب ، ولد فى كرخ ببغداد ونشأ وتوفى ببغداد سنة ٢٠٠ هـ وقيل سنة ٢٠٤ هـ .

انظر : طبقات الحنابلة لمحمد بن ابى يعلى جـ ١/٣٨١، ووفيات الأعيان جـ ٥/٢٣١ تحقيق د . احسان عباس ، وصفة الصفوة لابن الجوزى جـ ٢/٣١٨ ، والاعلام للزركلى جـ ٨/١٨٥ ، وتاريخ التراث المجلد الأول جـ ٤/١٠٨ .

يا أبا محفوظ أى شىء هاجك الى العبادة والانقطاع عن الخلق ؟ فسكت فقال : ذكر الموت •

فقال : وأى شىء الموت ؟ فقال : ذكر القبر والبرزخ •

فقال : وأى شىء القبر ؟ فقال : خوف النار ، ورجاء الجنة •

فقال : وأى شىء هذا ؟ إن ملكا بيده هذا كله إن أحببته أنساك جميع ذلك وإن كانت بينك وبينه معرفة كفاك جميع هذا •

وفى أخبار عيسى بن مريم عليهما السلام : إذا رأيت الفتى مشغوفا فى طلب الرب تعالى فقد ألهاه ذلك عما سواه •

ورأى بعض الشيوخ بشر بن الحارث (١) فى

---

(١) هو أبو نصر بشر بن الحارث بن عبد الرحمن المروزى المعروف بالحافى أسلم على يد على بن أبى طالب رضى الله عنه ، وكان من كبار الصالحين ، وأعيان الأتقياء المتورعين له فى الزهد والورع أخبار ، وهو من ثقات رجال الحديث أصله من مرو من قرية من قراها ، وسكن ببغداد ، ولقب بالحافى ، لأنه جاء الى اسكاف يطلب منه شسعا لاحدى نعليه وكان قد انقطع فقال له الاسكاف ما اكثر كلفتكم على الناس فألقى النعل من يده والأخرى من رجله وحلف لا يلبس نعلا بعدها وتوفى سنة ٢٢٧ هـ
انظر : وفيات الأعيان ترجمة/١١٤ ، صفة الصفوة لابن الجوزى ج ٢/٣٢٥ ، والاعلام ج ٢/٢٦ •

النوم فقال : ما فعل أبو نصر التمـــار وعبد الوهاب الوراق ؟ قال : تركتهما الساعة بين يدى الله تعالى يأكلان ويشربان فقلت فأنت فقال : قد علم الله قلة رغبتى فى الأكل والشراب فأعطانى النظر إليه .

وعن على بن الموفق قال رأيت فى النـــوم كأنى أدخلت الجنة فرأيت رجلا قاعدا على مائدة ، وملكا عن يمينه وملكا عن شماله يلقمانه جميع الطيبات ، وهـــو يأكل ورأيت رجلا قائما على باب الجنة يتصفح وجوه قوم (٢) فيدخل بعضا ، ويرد بعضا .

قال : ثم جاوزتهما الى حظيرة القدس فرأيت فى سرادق العرش رجلا قد شخص ببصره ينظر الى الله تعالى لا يطرف فقلت لرضوان من هذا ؟

فقال : معروف الكرخى ، عبد الله لا خوفا من ناره، ولا شوقا الى جنته ، بل حبا له فأباحه الله النظر إليه الى يوم القيامة وذكر أن الآخرين : بشر ابن الحارث ، واحمد بن حنبل (٣) .

قلت : الظاهر أن احمد بن حنبل رحمه الله هو المتصفح للوجوه فيعرف أهل السنة من أهل البدعة ،

---

(٢) الموجود فى احياء علوم الدين (النـــاس) . انظر : جـ ٤ ص ٣١٠ .

(٣) المرجع السابق نفس الصفحة .

وبشر بن الحـــارث هو الذى يلقمـــه الملكان ولا منافاة بين هذا الكلام والذى قبله ؛ فلقلة رغبته فى الطعام أكرمه الله تعالى بتلقيم الملكين له ، ثم أباحه النظر الى وجهه الكريم جل وعلا .

ثم قال أبو حامد : ولذا قال أبو سليمان الدارانى : من كان اليوم مشغولا بنفسه فهو غدا مشغولا بنفسه ، ومن كان اليوم مشغولا بربه فهو غدا مشغول بربه (١).

وقيل لرابعة (٢) ما حقيقة إيمانك ؟ .

قالت : ما عبدته خوفا من ناره ، ولا حبا لجنته ، فأكون كالأجير السوء بل عبدته حبا له ، وشوقا إليه .

وقالت فى معنى المحبة نظما :

أحبك حبين حب الهـــوى

وحبـــا لأنك أهـــل لذاكا

---

(١) انظر : احياء علوم الدين للغزالى ج ٤ ص ٣١٠.

(٢) هى رابعة بنت اسماعيل البصرى العـــدوية ، صوفية كبيرة وعابدة ، شهيرة الفضل ، تمكنت فى معرفة دقائق التصوف ، واستفتاها فى دقائق التصوف كبـــار المتصوفة فى عصرها .

توفيت سنة ١٣٥ هـ وقيل سنة ١٨٠ هـ وقيل سنة ١٨٥ ودفنت ببيت المقدس .

انظر : اعلام النساء لعمر رضا كحالة ج ١/ ٤٣٠ وصفة الصفوة لابن الجوزى ج ٤/٢٧ وشذرات الذهب لابن العماد ج ١/١٩٣ .

فأما الذى هــو حب الهوى

فشغلى بذكرك عمن سواكا

وأما الذى أنت أهــل له

فكشفك لى الحجبحتى أراكا

فلا الحمد فى ذا ولا ذاك لى

وكل لك الحمد فى ذا وذاكا

قال : ولعلهــا أرادت بحب الهو : حب الله ؛ لإحسانه إليها وإنعــامه عليها بحظوظها(١) العــاجلة ، وحبها لما هو أهله(٢) الحب لجماله،وجلاله الذى انكشف لها ، وهو أعلى الحبين ، وأقواهما .

ولذة مطالعة جمال الربوبية هى التى عبر عنهــا الله عز وجل حيث قال : « اعددت لعبــادى الصالحين ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر »(٣) .

---

(١) الموجود فى احياء علــوم الدين : (بحظوظ) انظر : احياء علوم الدين جـ ٤ ص ٣١١ .

(٢) العبارة الموجودة فى كتاب احيــاء علوم الدين (وبحبه لما هو أهل له) .
انظر : المرجع السابق نفس الصفحة .

(٣) رواه البخارى فى تفسير سورة السجدة باب : فلا تعلم نفس ما أخفى لهم ، وفى كتاب التوحيد باب قوله : يريدون أن يبدلوا كلام الله .
ورواه مسلم فى كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلهــا حديث رقم ٢٨٢٤ .

قال : وقد يتعجل بعض هذه اللذات فى الدنيا لمن انتهى صفاء قلبه الى الغاية ، ولذلك قال بعضهم : إنى لأقول يا رب ، يا الله فأجد ذلك أثقل على قلبى من الجبال(١) ؛ لأن النداء يكون من وراء حجاب ، وهل رأيت جليساً ينادى جليسه (٢) .

وقال : اذا بلغ الرجل فى هذا العلم الغاية رماه

---

(١) كيف يكون دعاء الله أثقل على قلب الانسان ، وقد حثنا الله سبحانه على الدعاء وبين عز وجل أنه قريب من عباده فاذا دعوه أجابهم ، قال تعالى « واذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان » .
وقال تعالى « وقال ربكم ادعونى استجب لكم » وجاء فى الحديث الذى أخرجه البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعونى فاستجيب له ؟ من يسألنى فأعطيه ؟ من يستغفرنى فأغفر له ؟ » .

(٢) لعله يقصد بذلك أن الله جل جلاله يكون مع الانسان أينما كان (وهو معكم أينما كنتم) واذا تقرب الانسان من ربه وذلك بالاقبال على طاعته وعدم اقتراف ما نهى عنه فان الله عز وجل يتقرب منه ويقبل عليه كما جاء فى الحديث الذى أخرجه البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : قال الله عز وجل « اذا تقرب عبدى منى شبرا تقربت منه ذراعا ، واذا تقرب منى ذراعا تقربت منه باعا ، واذا أتانى يمشى اتيته هرولة » .

الخاق بالحجارة ، أى يخرج كلامه عن حد عقولهم فيرون ما يقوله جنونا ، وكفرا فمقصد العارفين كلهم وصلة ولقاؤه فقط ، فهى قرة العين ، التى لا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين ، وإذا حصلت إنمحقت الهموم ، والشهوات كلها ، وصار القلب مستغرقا بنعيمها ، فلو ألقى فى النار لم يحس بها ؛ لاستغراقه ، ولو عرض عليه نعيم الجنة لم يلتفت إليه لكمال نعيمه ، وبلوغه الغاية التى ليس فوقها غاية ، وليت شعرى من لا يفهم إلا حب المحسوسات ، كيف يؤمن بلذة النظر إلى وجه الله وما له صورة ، ولا شكل وأى معنى لوعد الله به عباده ، وذكره أنه أفضل النعيم ، بل من عرف الله عرف أن اللذات المقترنة بالشهوات المختلفة كلها تنطوى تحت هذه اللذة .

كما قال بعضهم :

كانت لقلبى أهواء مفرقة
فاستجمعت مذ رأتك العين أهوائى

فصار يحسدنى من كنت أحسده
وصرت مولى الورى مذ صرت مولائى

تركت للناس دنياهم ودينهم
شغلا بذكرك يا دينى ودنيائى (١)

---

(١) انظر : احياء علوم الدين للغزالى ج ٤ ص ٣١١ .

وقال آخر : امتحن الله به خلقه فالنار والجنة فى قبضته ، وهجره أعظم من ناره ووصله أطيب من جنته .

قال أبو حامد : وما أرادوا بهذا إلا إيثار لـذة القلب فى معرفة الله تعالى على لذة الأكل ، والشرب ؛ والنكاح ؛ فإن الجنة معدن تمتع الحواس ، فأما القلب فلذاته فى لقاء الله فقط .

ثم قال : وكما أن الصبى يضحك على من يترك اللعب ، ويشتغل بطلب الرئاسـة ، فكذلك الرؤسـاء يضحكون على من ترك الرئاسة واشتغل بمعرفة الله .

والعارفون يقولون : « ان تسخروا منا فإنا نسخر منكم لما تسخرون ، فسوف تعلمون » .

ثم قال : الرؤية غاية الكشف ، وكما أن سنة الله تعالى بأن تطبيق الأجفان يمنع من تمام الكشف بالرؤية ، ويكون حجابا بين البصر ، والمرئى ، ولابد من ارتفاع الحجاب لحصول الرؤية ، وما لم يرتفع كان الإدراك الحاصل مجرد التخيل ، فكذلك مقتضى سنة الله تعالى أن النفس مادامت محجوبة بعوارض البدن ، ومقتضى الشهوات ، وما غلب عليها من الصفات البشرية فإنها لا تنتهى الى المشاهدة ، واللقاء فى المعلومات الخارجة عن الخيال ، بل هذه الحياة حجاب عنهـا بالضرورة

كحجاب الأجفان عن رؤية الأبصـــار ، ولذلك قال الله تعالى لموسى « لن ترانى » وقال : « لا تدركه الأبصار» أى فى الدنيا ، والصحيح أن رسول الله ﷺ ما رأى الله تعالى ليلة المعراج (١) فإذا ارتفع الحجاب بالموت بقيت النفس ملوثة بكدورات الدنيـــا غير منفكة عنهـــا بالكلية وإن كانت متفاوتة فمنها ما تراكم عليها الخبث ، والصدأ فصار كالمرآة التى فسد بطول تراكم الخبث جوهرها ، فلا تقبل الإصلاح ، والتصقيل ، وهؤلاء هم المحجوبون عن ربهم أبد الآباد نعوذ بالله منه .

ومنها ما لم ينته الى حـــد الرين ، والطبع ، ولم يخرج عن قبول التزكية ، والتصقيل فيعرض على النار

---

(١) الذى صححه الغزالى هو قول عائشة رضى الله عنها ففى الصحيحين : أنها قالت : من حدثك أن محمـــدا رأى ربه فقد كذب ، ولمسلم من حديث أبى ذر : ســـألت رسول الله ﷺ هل رأيت ربك ؟ قال : « نور أنى أراه » .

وذهب ابن عباس واكثر العلماء الى اثبات رؤيته له، وعائشة لم ترو ذلك عن النبى ﷺ وحديث أبى ذر قال فيه احمد : مازلت له منكرا ، وقال ابن خزيمة : فى القلب من صحة اسناده شىء ، مع أن فى رواية لأحمد فى حديث ابى ذر « رأيته نورا أنى أراه » ورجال اسنادها رجال الصحيح .

انظر : المغنى عن حمل الأسفار فى الأســـفار فى تخريج ما فى الإحياء من الأخبار للحافظ العراقى ج ٤ ص ٣١٢

قرضا يقمع منه الخبث الذى هو متدنس به ، ويكون العرض على النار بقدر الحاجة الى التزكية ، وأقلهـا لحظة ، وأقصاها فى حق المؤمنين ـ كمـا وردت به الأخبار ـ سبعة الآلف سنة ، ولن ترتحل نفس عن هذا العالم إلا وتصحبها غبرة وكدورة ما وإن قلت ، ولذلك قال تعالى « وان منكم إلا واردها » (١) .

فإذا أكمل الله تطهيرها ، وتزكيتها ، ووقع الفراغ من جملة ما وعد به الشرع من العرض ، والحساب ، وغيره ، ووافى استحقاق الجنة ، فعند ذلك يستعد بصفائه ، ونقائه عن الكدورات لأن يتجلى فيها الحق سبحانه وتعالى فيتجلى له تجليا يسمى رؤية .

فالرؤية حق بشرط أن لا يفهم منهـا تصـــور مخصوص بجهة ، ومكان ؛ فإن ذلك مما يتعالى عنه رب الأرباب علوا كبيرا ، بل كما عرفته فى الدنيـا معرفة حقيقية تامة من غير تخيل وتصور ، فتراه فى الآخرة كذلك ، بل أقول المعرفة الحاصلة فى الدنيا بعينها هى التى تستكمل فتبلغ كمال الكشف ، والوضوح ، وتنقلب مشاهدة ، وإليه الإشارة بقوله تعالى « نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا »(٢)

---

(١) سورة مريم : ٧١ .
(٢) سورة التحريم : ٨ .

إذ تمام النور لا يؤثر إلا فى زيادة الكشف ، ولهـذا لا يفوز بدرجة النظر والرؤية الا العارفون فى الدنيا؛ لأن المعرفة هى البذر الذى ينقلب فى الآخرة مشاهدة، كما ينقلب النوى شجراً ، والبذر زرعاً ، ومن لا نوى له كيف يحصل له نخل ؟ ومن لم يزرع البذر كيف يحصد الزرع ؟

فمن لم يعرف الله فى الدنيا كيف يراه ؟ .

ولما كانت المعرفة على درجات متفاوتة كان التجلى أيضا على درجات متفاوتة ، فاختلاف التجلى بالإضافة الى اختلاف المعارف كاختلاف النبات بالاضـافة الى اختلاف البذور إذ تختلف لا محالة بكثرتها ، وقلتها ، وحسنها وقبحها ، وقوتها وضعفها ، ولذلك قال النبى ﷺ : « ان الله يتجلى للناس عامة ولأبى بكر خاصة» (١)

---

(١) قال النجم : رواه الحاكم ، والخطيب ، وتعقبـه عن جابر ، وابن مردوية عن أنس بلفظ : « يا أبا بكر إن الله أعطاك الرضوان الأكبر قال وما الرضوان الأكبر ، قال ان الله يتجلى للخلق عامة ، ويتجلى لك خاصة » .

وأقول : رأيت فى رسالة منسوبة لصاحب القاموس أنه عده من الموضوعات بلفظه الاول فليراجع وليحرر .

انظر : كشف الخفاء ومزيل الالباس عما اشتهر من الأحاديث على السنة الناس للشيخ اسماعيل بن محمـد العجلونى ج ١ ص ٢٤٥ .

فلا ينبغى أن تظن أن غير أبى بكر ممن هو دونه يجد من لذة النظر ، والمشـــاهدة ما يجـــده أبو بكر ، ولما فضل الناس بسر وقر فى صدره فضـــل لا محـــالة بتجل انفرد به •

قال : وكما أنك ترى فى الدنيـــا من يؤثر لـــذة الرئاسة على المنكوح ، والمطعوم ، وترى من يؤثر لذة العلم ، وانكشاف مشكلات ملكوت السموات والأرض، وسائر أمور الإلهيـــة على الرئاســـة ، وعلى المنكوح والمشروب جميعا ، فكذلك يكون فى الآخرة قوم يؤثرون لذة النظر الى وجه الله تعالى على نعيم الجنة ؛ إذ يرجع نعيمها الى المنكوح والاطعوم ، وهؤلاء بعينهم هم الذين حالهم فى الدنيا ما وصفنا من إيثار اذة العلم والمعرفة ، والاطلاع على أسرار الربوبية على المنكوح ، والمشروب، وسائر ما الخلق مشغولون به ، ولذلك لما قيل لرابعة ما تقولين فى الجنة ؟

قالت : الجار ثم الدار ، فتبين أنه ليس فى قلبهـــا التفات الى الجنة به الى رب الأرباب (١) •

ثم ساق أبو حامد كلامه الى أن قال :

---

(١) انظر : إحياء علوم الدين للغزالى جـ ٤ ص ٣١٢ •

فإن قلت : هذه الرؤية محلها القلب أم العين فى الآخرة ؟

فاعلم أن الناس اختلفوا فيه وارباب البصائر لا يلتفتون الى ذلك ، ولا ينظرون فيه ، بل العاقل يأكل البقل ولا يسأل عن المبقلة ، ومن يشتهى رؤية محبوبه يشغله حبه عن أن يلتفت الى أن رؤيته خلقت فى عينه أو فى جبهته ، بل يقصد الرؤية ولذتها سواء كانت بالعين أو غيرها ؛ فإن العين محل ، وظرف لا نظر إليه ولا حكم له .

والحق فيه : أن القدرة الأزلية واسعة ، فلا يجوز أن يحكم عليها بالقصور عن أحد الأمرين ، هذا حكم الجواز .

فأما الواقع فى الآخرة من الجائزين فلا يدرك إلا بالسمع .

والحق : ما ظهر لأهل السنة والجماعة من شواهد الشرع أن ذلك يخلق فى العين ليكون لفظ الرؤية والنظر وسائر الألفاظ الواردة فى الشرع تجرى على ظاهرها ؛ إذ لا يجوز ازالة الظواهر إلا بضرورة والله أعلم .

وقال أبو حامد فى كتاب التفرقة : نفى المعتزلى الرؤية عن البارى سبحانه وتعالى بدعة وليس بكفر .

واعلم أن شرح ما يكفر به وما لا يكفر به يستدعى تفصيلا طويلا فاقنع بوصية وقانون • أما الوصية : فأن تكف لسانك عن أهل القبلة ما أمكنك ماداموا قائلين لا إله إلا الله محمد رسول الله غير مناقضين •

والمناقضة : تجويزهم الكذب على رسول الله ﷺ بعذر أو بغير عذر ؛ فإن التكفير فيه خطر ، والسكوت لا خطر فيه •

وأما القانون :ـ فهو أن تعلم أن النظريات قسمان :

قسم يتعلق بأصـول القواعد ، وقسـم يتعلق بالفروع •

وأصول الإيمان ثـلاثة : الإيمان بالله تعـالى ، وبرسوله ، وباليوم الآخر ، وما عداه فروع •

واعلم : أنه لا تكفير فى الفروع أصلا لكن فى بعضها تخطئة كما فى الفقهيات • وفى بعضها تبديع : كالخطأ المتعلق بالإمامة ، وأحوال الصحابة •

قال : والكفر هو تكذيب الرسـول ﷺ فى شىء مما جاء به •

والإيمان : تصديقه فى جميع ما جاء به •

والتكذيب : أن يزعم أن ما قـاله لا معنى له ، وإنما هو كذب محض •

ولا يلزم الكفر المتأويلين ماداموا يلازمون قانون التأويل ، وما من فريق من أهل الإسلام إلا وهو مضطر إلى التأويل ، وأبعد الناس عن التأويل أحمد بن حنبـــل رحمه الله .

وقد سمعت الثقات من أئمة الحنابلة ببغداد يقولون: أحمد بن حنبل صرح بتأويل ثلاثة أحاديث فقط :

« الحجر الأسود يمين الله في الأرض » (١) .

---

(١) هذا الحديث مرفوع عن جابر عند الخطيب ، وابن عساكر ، والطبراني ولكنه ضعيف .

قال المهلب : ومعاذ الله أن يكون لله جارحة ، وانما شرع تقبيله اختبارا ليعلم بالمشاهدة طاعة من يطيع ، وذلك شبيه بقصة ابليس حيث أمر بالسجود لآدم .

وقال الخطابي : معنى أنه يمين الله في الأرض أن من صافحه في الأرض كان له عند الله عهد وجرت العادة أن العهـد يعقـده الملك بالمصـافحة لمن يريد موالاته ، والاختصاص به فخاطبهم بما يعهدونه .

وقال المحب الطبري : معناه أن كل ملك اذا قدم عليه الوافد قبل يمينه فلما كان الحاج أول ما يقدم يسن له تقبيله نزل منزلة يمين الله ولله المثل الأعلى .

انظر : بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني لأحمد عبد الرحمن البنا جـ ١٢ ص ٣٨ .

« قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن »(١)

« إنى لأجد نفس الرحمن من قبل اليمن » (٢) .

قال : ولو أمعن احمد رحمه الله فى النظر العقلى لظهر له تأويل ظواهر كثيرة .

قال : وأقرب الناس الى الحنابلة فى أمور الآخرة الأشعرية ؛ فإنهم قرروا فيها أكثر الظواهر إلا اليسير.

والمعتزلة أشد منهم توغلا فى التأويلات والله أعلم (٤) .

قلت : ولنختم الكتاب بحكاية طريفة رواها الحافظ أبو بكر الخطيب باسناده .

---

(٢) رواه الامام احمد بلفظ (قلب ابن آدم على اصبعين من أصابع الجبار) المسند جـ ٢ ص ١٧٣ . وبلفظ (ما من آدمى الا وقلبه بين اصبعين من أصابع الله عز وجل ما شاء أقام وما شاء أزاغ) المسند جـ ٤ ص ١٨٢ ، ورواه بألفاظ غير ذلك .

انظر المسند جـ ٢ ص ١٦٨ ، جـ ٣ ص ٢٥٧ ، جـ ٦ صفحة ٢٥١ .

ورواه الترمذى بلفظ : « ليس آدمى الا وقلبه بين اصبعين من أصابع الله » .

انظر : سنن الترمذى كتاب الدعوات (باب ٩٠) .

(٣) قال العراقى : لم أجد له أصلا .

انظر : كشف الخفاء ومزيل الالباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس للشيخ اسماعيل العجلونى جـ ١ ص ٢٦٠ .

قال : لما مات بشر بن غياث المريسى لم يشهد جنازته من أهل العلم والسنة أحد إلا عبيد الشونيزى فلما رجع من جنازته أقبل عليه أهل السنة والجماعة ، وقالوا له يا عدو الله تنتحل السنة ، وتشهد جنازة المريسى ؟ فقال : انظرونى حتى أخبركم ما شهدت جنازة رجوت بها من الأجر ما رجوت فى شهود جنازته .

لما وضع فى موضع الجنائز قمت فى الصف فقلت : اللهم إن عبدك هذا كان لا يؤمن برؤيتك فى الآخرة ، اللهم فاحجبه عن النظر الى وجهك يوم ينظر المؤمنون إليك ، اللهم عبدك هذا كان لا يؤمن بعذاب القبر ، اللهم فعذبه اليوم فى قبره عذابا لم تعذبه أحداً من العالمين ، اللهم عبدك هذا كان ينكر الميزان ، اللهم فخفف ميزانه يوم القيامة ، اللهم عبدك هذا كان ينكر الشفاعة اللهم فلا تشفع فيه أحدا من خلقك يوم القيامة ، قال : فسكتوا عنه وضحكوا (١) .

قال : فسكتوا عنه وضحكوا .

وهذا آخر ما أردنا جمعه فى هذا الكتاب والله الموفق للصواب .

---

(١) انظر : تاريخ بغداد للحافظ ابى بكر احمد بن على الخطيب البغدادى ج ٧ ص ٦٦ .

الفهرســـت

الموضـــوع الصفحة

مـــن

مطبوعات دار الصحوة

١ ــ **عصر الإلحـــاد**

تأليف محمد تقى الأمينى

٢ ــ **ثقـــافة المســلم**

د/ عبد الحليم عويس

٣ ــ **الوقت فى حياة المسلم**

د/ يوسف القرضاوى

٤ ــ **الرســـول والعلم**

د/ يوسف القرضاوى

٥ ــ **صلاح الأمة على هدى السنة**

د/ محمد محمد الشريف

٦ ــ **مؤشرات حول الحضارة الإسلامية**

دكتور / عماد الدين خليل

٧ ــ **الدولة والسلطة فى الإسلام**

دكتور / محمد معروف الدوليبى

١٥ ـ الوجيز فى الاقتصاد الإسلامى

دكتور / محمد شوقى الفنجرى

١٦ ـ رسائل الأعلام

إخراج وتقـــديم :

محمد الرابع الحسنى الندوى

١٧ ـ أمهـــات المؤمنين

أحمد حسين شرف الدين

١٨ ـ أحاديث صريحة مع إخواننا العرب والمسلمين

أبو الحسن الندوى

١٩ ـ نفحات الإيمان بين صنعاء وعمان

أبو الحسنى الندوى

٢٠ ـ العالم الإسلامى اليوم

محمـــود شـــاكر

٢١ ـ الأدب الإسلامى وصلته بالحياة

مع نماذج من صدر الإسلام

محمد الرابع الحسنى الندوى

٢٢ ـ شريعة الإسلام فى الجهاد والعلاقات الدولية

أبو الأعلى المؤدودى

٢٣ ـ سر تأخر العرب والمسلمين

محمـــد الغـــزالى



رقم الايداع ١٩٨٥/١٧٨٤
ترقيم دولى ٤ ـ ٠٨ ـ ١٤٣٠ ـ ٩٧٧

مطبعـة دار التأليف
٨ شـارع يعقوب ــ بالمالية
ت : ٥٤١٨٢٥



دار الصحوة ••• وهـذا الكتاب

لم تقم دار الصحوة لتكون مجرد دار نشر تجارية ، بل قامت لتحقق هدفاً إسلامياً بالدرجة الأولى ••• وهذا الهدف ــ بإيجاز ــ هو الأخذ بيد المسلمين لفهم الإسلام فهماً حقيقيا نابعاً من مصادره الأصلية ••• ولفهم التحديات التى تواجه المسلمين •••

ولفهم الأسـلوب الأمثـل والأقوم فى مواجهـة التحديات •

وأخيراً ••• لقـد قامت دار الصـحوة لترفع من مستوى الإنسان المسلم روحيا وثقافيا ••• حتى يكون منسوب المسلم الفكرى والأخلاقى أعلى من منسـوب الحضارة الحديثة ••• وبالتالى يكون المسلم أهلاً لقيادة الحضارة وفق سنة الله الكونية التى لا تمنح قيادة سفينة الحق إلا للراشدين النابهين ••• المخلصين ••• ولن تمنحها أبداً لغيرهم •••

وهذا الكتاب •• خطوة من خطوات دار الصحوة ••• فى هذا الطريق •

دار الصحوة
للنشر والتوزيع بالقاهرة

شارع جمال عبد الناصر بجوار عمارات
المهندسين ــ حدائق حلوان